فلسفة التكوين الفكري

فلسفة التكوين الفكري

الجزء الثالث

الدكتور المهندس نبيل طعمة

١٤٢٩ - ٢٠٠٨

الناشر دار الشرق للطباعة والنشر
الدكتور المهندس نبيل طعمة
الطبعة الأولى
عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة
تاريخ النشر ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

ORIENT
Printing & Publishing
دار الشرق للطباعة والنشر

تقديم

أروح أشير إليك أن انظر إليه وتأمل ماذا تجد فيه إنه مثلك لديك يكفيك أن تتجول في داخلك لتعلم ما يحيطك فأنت المعمور والإعمار أنك للعالم الحقيقة من ما مضى مروراً بحاضرك وإلى ما سيأتيك من الزمن المستقبل فهل أنت مستعد له.

إنك وأنت كذلك تراب ، وماء ، وهواء ، ونار ، شكل هندسي حملت القلم ودونت في القرطاس الفرح والألم والحزن والجهل بالتسامح، فكان أن نسجت تاريخاً هو تاريخك وذاكرتك ، أضفت وانتقصت وكان العالم بحريته ينتظرك حيث وضع لك شمعة في أول النفق، وأعطاك مفتاح القفل افتح واخرج إليه لتصنع مجدك وتخلد بروحك ، لا بجسدك وتنجز مفاهيم جديدة تدعها تتحدث عن الواجبات بوجدانك المادح والقادح والناقد ، وضمنه تتحدث عن التأخر الذي حصل معك والتخلف عن وظائفك ، وكيف أنك ملكت المتعة مع الصورة والموسيقا وأنت تعبر رحلة العمر بسلام دون أن تلغي الآخر في إدارة مارستها وتطوع إنسيابي ، لتكون علماً من الأعلام باحثاً في الخلاص والإخلاص، رامياً بصندوقك الأسود مستعيناً بألوان قوس قزح ذات البياض الناصع منجزاً لحياتك التي طلبت فيها التعب كي تريح الآخرين.

إنني إليك يا أيها الأنت الإنسان أقدم لك كلمة مكعبية الشكل أضعها بين يديك فكن روحها لتتحرك وتأخذ بك إلى عالم الواقع الذي أنت فيه تبعدك عن احتمال أنك غير موجود بكونك وأنت كون الكون فكن بها حياة أمينة وأطلب منك الأمان لك.

إليك أكتب هذه الكلمات بكون العلوي المحيط لا يحتاجك بل أنا وأنت نحتاجه ، وهو محيط فانظر إليه تجد نفسك فيه ويكون فيك نعم أنا وأنت وهو في كلمة حق وأنت حق وهو حق والحق حق فأين أنا وأنت انظر بعينيك حرّك الكلمة من سطرها تخرج إليك وإليّ تأخذ بأيدينا انتقالاً على مسارات الحياة ارتقاءً وصعوداً وحياةً تعلو أو تتقدم فتظهر الصورة متطابقة تماماً مع المحيط المجد فنأخذ مجدنا منه وبه نكون حيث يكون بنا.

نعم كلمات في كتاب أُنجزت من أجلي ومن أجلك لنأخذ بها إن أصابت لديك حقيقة ، وإن لم تصب ضع مكانها ما تريد وقل إنني أوجدت مكانها قادماً جديداً هو كلمة فيها كل التجليات وحينها أشكرك وأعود إليك أتناول ما أوجدته أنت الذي ملأت المكان لتجدني في الجزء الرابع أضيف ما أضفت.

الدكتور المهندس نبيل طعمة



الإهداء

إليك أنت الذي تدور من مركزك
حول ذاتك
إليك أنت الذي تتطلع إلى عقلك
تبحث عنه أريدك أن تراه ببصيرتك
إليك يا أيها الإنسان البناء والعمارة
أريد أن تقدر من يسكن في داخلك
إليك أريدك أن تبحث عنه
وتجده كي تجد ذاتك فتكون

الدكتور المهندس نبيل طعمة

بناية الله

طبعاً أنت أيها الإنسان المقصود بهذا العنوان، انظر لنفسك وتأمل ما في داخلك، لتعلم أنه بناك ليسكن فيك وشكّلك هندسياً، فبدأ بك إنشاءً حيث صاغ هيكلك العظمي، وأعمرك فأخذت الشكل المعماري، واختبرك ميكانيكياً لتنجح حركاتك، وأنارك كهربائياً وأطلقك ذرياً، فعملت إلكترونياً من خلال امتلاكك للنواة نترون وبروتون وإلكترون، وكساك بشكل مدني فأصبحت مدنياً، رأسك طابق التأمل والتفكر والرؤية والاختيار، وصدرك طابق الاستقبال، مركز النبض والفعل والانفعال، وبجانبيك يدان وخصرك طابقُ المعيشة وعمليات الهضم والطعام والماء، كي تقوى وتتقوى على الحياة ووسطك هو الطابق الأرضي الذي فيه عمليات الصرف الصحي والإنجاب، والقبو المالك للأساسات قدَماك وما عليهما، مجتمع كامل في بدن وجلد ناعم دقيق لتأخذ الشكل المدني، انظر إلى نفسك ألست عمارة مدنية هندسية رائعة الإنجاز، أنجزك ووضع فيك القلب والعقل وصاغ البدن كي يسكن فيك، فكيف بك تخرجه من داخلك لتبحث عنه وتهيم على وجهك تتضرع تارة خائفاً خاشعاً وتارة عنيداً متبجحاً ومجحفاً تارة أخرى، فتنشأ قوة بين كل ذلك تتفاعل

فيها الهواجس والأفكار، متنقلة بين المعرفة وعدمها، والكفر والإيمان، والهمة والكسل، وسهولة تقبّل أي قادم فكري سلبي أم ايجابي، وكل ذلك نتيجة لنشوء الفراغ الروحي.

انظـر بعد أن صاغك ونفخ فيك من روحــه، أي دَخَل فيك وأطلقــك لتســتعمر الأرض بمعنـــى أن تعمّرهــا، فهو بناك كي تبني وتشــتغل وتنجز بناءك، من الأرض استخدم الماء والــتراب وعجنك وأخرج شــكلك، وقال لك بعد أن ســكنك بروحه: هيا اعمل وأنا بداخلك أراقب عملك، فلماذا تحاول أن تخرجه منك والكثير الكثير أخْرَجَهُ لشدة ضيق صدره، فأصبح وأمســى بدون اللّه شيئاً كان به لا شيء، وأخذ يبحث عنه في المحيط الأعلى تارة والأسفل تارة أخرى، وعندما يفرغ الشيء من روح اللّه تسكنه أرواح مختلفة، كروح الشر والخبث والضغينة والعداوة والحســد والبغاء والمنكر والتسلط، وهذا واقع خارج إطار قضايا التأمل فهو ســكنك لتعود وتســكنه ورافقك لتكون رفيقه، وبناك من أجل أن تبني له، انظر معنى (وفي أنفســكم أفلا تبصرون) ومعنى: (إنّ في خلق الســموات والأرض، واختــلاف الليل والنهار لآيــات لقوم يتفكرون). ما معنى هذا ؟ يعني أنه بداخلك ويساعدك ويلهمك ويقرئك ما لا تقرأ ويعلمك ما لا تعلم، فكيف بك تخرجه من سكنه، الــذي هو أنت ســكنهُ، هل تفكرت بما ســيحصل لك عندما تبعده عن عمارته التي بدونه أنت خراب، انظر إلى مسكنك الذي أنت تسكن فيه ألست أنت روحه وأنت ربّه (فلِمَ يقال لك

رب المنزل) إن غادرته ماذا يحصل له، ألا تسكنه الحشرات والغبار ويصبح قديماً هرماً على الرغم من جمال منظره الخارجي الذي ينهار رويداً رويداً تأمّل ذلك.

طبعاً في هذا الشرح نحاول أن نتحدث عنك من خلال علم البنيان أي هندسة الخلق الإنساني، التي حوت كل أنواع الهندسة التي ذكرتها بالإضافة إلى الهندسة الوراثية والجينية، وما سيكتشف بك بعد ذلك، وفي ما سيأتي من الزمن، ومعك ومن خلالك أيها الانسان العظيم النشأة، فأين أنت منك ومن ذاتك ومن عمقك هل تريد أن تتطور حقاً كيف ؟ تأمَّل ذاتك، قف إلى مرآتك وانظر إلى شكلك واخترِقْ بدنك، حاول أن ترى خلف عينيك وعمق أذنيك وارتباطهما بلسانك وشفتيك، ادخل من فمك مع طعامك وشرابك وتسلّل من أنفك عبر هواء حياتك، تجوّل في عقلك عبر طرقه المديدة، واسبح مع دمك في شرايينك، ثم اخرج وعُدْ وتفكَّرْ في إنجابك وكيف أنك تصنع وليداً في داخلك، ثم اخرج وتفكَّر في حياتك ومسيرتها، تأمَّل محيطك نباتاً وجماداً وحيواناً، تأمَّل جنسك اخطُ الخطوة الأولى، حاول ألا تخرج من جلدك، عد إلى داخلك تصالح معه، لتجد أن اللّه عاد إلى بنائه، يرشدك فلا تخطئ ويلهمك فتنجز، ويساعدك على الحياة فتساعد الحياة على الاستمرار.

اعمل على أن يبقى بداخلك توحَّد معه من خلال تصالحك مع ذاتك، تأكد من أنه إذا غادرك عشت فراغاً قاتلاً ومميتاً

على شكل الانهيارات، وإن أحببت إسكانه فيك عمرت وأعمرت وعملت حسناً، بكونه رقيبك ومرشدك وحبيبك لأنك أنت حبيبه، فما أجمل أن يكون المحب في الحبيب حبيباً، وما أحسن المصنوع في الصانع قبل ظهور الصنيع، هو هكذا وحدة متكاملة بك ومعك، فكيف أنت تكون بدونه هل تعتقد أنك بدونه تكون؟

العالم الافتراضي

فكرة تسكن أعماقنا، تعيش حالة السكون في عقلنا الباطن، متخفية أبداً في حياتنا الظاهرة، وكأني بها تنتظر الولوج من حياتنا لحياتها، وهي الوحيدة التي تتابع مسيرة الحياة بعد أن يرتاح الجسد المادي وتتوقف كل عملياته، أي بعد أن ننتقل من عالم التدفق والحيوية والنبض إلى عالم السبات، حيث يرتاح الجسد المادي لتبدأ هي مسيرة العمل الروحي فكيف هي...؟ وما هو العالم الآخر الذي نتداوله افتراضاً تملؤه الرهبة والخوف وقليل قليل من الحب...؟ سؤال كبير وخطير وعالمي، بمعنى أنه يخص البشرية جمعاء، وله علاقة بمكونات الحياة واستمرارها، وتسليمنا لبعضنا مهام الحياة الموكلة إلينا.

لنحاول الآن أن نذهب إلى ذلك العالم ولنبحث فيه، أولاً: موجوداته، علاقته بنا وعلاقتنا به، وما هي الأطر التي

سنعيش ضمنها، وهل عيشنا مادي أو روحي، وهل لدى ذلك العالم مكونات، ولماذا لا نستطيع أن نتواصل معه، وإذا انتقلنا إليه هل نستطيع من هناك أن نتواصل مع هنا، أي مع عالمنا المعاش، هل هو عالم حيوي بيئي، أم هو نسيج خيالي إبداعي نعيش هواجسه ليعطينا دفعاً في الحياة المادية التي نتناساها كي لا يخيفنا، فهل هو رعب وخوف أم أنه حقيقة الحقائق التي لا نحب أن نؤمن بها ولا أن نراها، وهل هو الحق الذي نؤمن به والذي يبقى باقياً بقاء الحياة، ومعنى ذلك أننا نبقى معه بعد انقضاء مدة حياة المادي المقدرة منذ بدايتها، بأن نهايتها محتومة أي نبقى مع الحق الذي يكوّن الكون في جملته، ويحق الحق علينا فننتهي وندرك أن نهايتنا المادية حتمية.

هل نحن أشكال وصور في هذه الحياة المادية...؟ وهل الروح تفنى، أم تبقى تدور في فلك حاملها الأساس بعد رحيل كتلته المادية..؟ هل تتقمص الأشياء الحيوية أم لا.. هي تبقى أزلية ترافق وتترافق وتحضر ضمن الملكات الخاصة في كوننا البديع، ينبغي علينا أن نسأل أنفسنا كل هذه الأسئلة ولكن هل نستطيع الإجابة عليها، بمعنى آخر هل نحب أن نتبادل هذه الحواريات أم لا...؟ من وجهة نظري يجب أن نغني هذه الحواريات، وأن نتبادل معها أسئلة وتكون لها الأجوبة، فمن خلال ذلك تنشأ جدليات هي غاية البحث في وجود عالمنا المادي وعالمنا الافتراضي، بدليل أنه ومهما حاولنا أن نبقى

في عالمنا المادي، فلن نبقى طويلاً إذ يجب علينا الرحيل، إلى أين ؟ إلى العالم الآخر الذي نسميه العالم الافتراضي بكونه يعيش افتراضياً في خيالنا الواقعي جنة وناراً، سعادة وشقاء، آلاماً وصحة، خيراً وشراً، طيبة وقسوة، محبة وكراهية، أن نعيش فيه كل الخير وضده، فهل كل هذا ينتقل معنا إلى العالم الآخر بكونه يعيش في عقلنا ضمن عالمنا الافتراضي، أعتقد أنه ينبغي علينا ان نتداول ونتذاكر في هذه العوالم، بعيداً عن التشنجات وبحثاً حقيقياً من أجل الاستمرار بعد الانتقال إلى العالم الآخر الذي يعيش فينا كعالم افتراضي.

اغادركم الآن إلى العالم الآخر، لأعيش في عالمي الافتراضي الذي أحمله كما تحملونه، سأدع كل شيء وأسير إليه بغاية استكشافه، ولأروي لكم ماذا سأشاهد وما الذي سيحدث معي، معنى أن أدخل إليه هي محاولة مغادرة الموجود لمراقبته، فإذا افترضنا أنني فارقت الحياة مؤقتاً، فماذا سيجري لتكويني الذي منه أسرتي وعملي وعلاقاتي وأصدقائي وللمحبين والحاقدين والحاسدين، ولمن يهمهم الأمر، ولمن لا يهمهم الأمر، وما هي الأحاديث التي ستجري بعد أن يضمني الثرى، سأنتظر ليغادروا وأنهض متسللاً أراقب وأتجول منصتاً عن بعد لِما سيتحدثون به عني وعن حياتي، وكيف كانت وماذا فعلت وكيف فعلت وهل كنت صالحاً أم طالحاً، وهل استساغتني الحياة أم كانت تلفظني، وكيف سيتصرف

أهلي وزوجتي وأولادي، وكيف سيتدبرون أمورهم من بعدي، وأصدقائي ورفاقي وهل كنت مهماً في الحياة أم عادياً، وهل كنت رقماً حقيقياً أم عدداً مكمّلاً، لنسترق السمع ونسمع ماذا سيقولون وكم يحتاجون من وقت كي يحدث لهم النسيان، أو أنهم انشغلوا في قضايا التكوين (الإرث والميراث وهل هو إرث ثقيل أي بمعنى عبء عليهم أم أنه انفراج لهم).

طبعاً هي محاولة للعيش في حالة الافتراض وتخيل العالم الآخر، فإذا استعرنا حالة التقمص ودخلنا كروح افتراضية في حمامة أو قطة جميلة لنسكن على نوافذ منازلنا، ونتجول بين أصدقائنا وحاراتنا ومدننا التي كنا نعيش فيها، أو ندخل إلى مساحتنا الخاصة نجلس بين أناسنا، ماذا سنسمع وماذا سنرى، هل سننفر ونقول: إن النهاية ضرورية أم نتمنى لو بقينا.

دعني أجبك أولاً ماذا وجدت هناك أي في العالم الآخر..!

طبعاً وجدت حياة هي ذات الحياة التي نعيشها في عالم الواقع ولكن أنت هنا وأنا هناك، أنا أستطيع أن أحدثك مباشرة ولكن دون أن تسمعني، فأنا أخترق عقلك وروحك أي أنني أتجول في المساحات المسموحة والممنوعة لديك، أنت تسمعني دون أن تنبس ببنت شفة، فكيف يحصل ذلك وأنا أراك وأنت لا تراني، فأنا في عالم الأرواح وأنتم في عالم المادة، وبكون الأرض لها غلاف فكلنا منحصرون عليها وحولها، أنتم على الأرض وأنا أسبح في المحيط.

لتعلم أنني لست خيالاً أو ظلاً بل أنا أتحدث وأعيش بجانبك حقيقة كما تعيش، الفرق بيني وبينك أنني خرجت وعدت وأنت اعتقدت أنني خرجت بلا عودة، وها أنا ذا أروي لك وأنا بجانبك ما يحدث معي والذي هو بذات عينه ما سيحدث معك لاحقاً، من هذا لاحظ أن البحث في آلية العالم الآخر يبدأ من افتراض الشيء وهذا الافتراض يتكون منذ نشأتك الأولى أي يولد معك، ومع سنين الوعي والاكتساب بكل أشكاله الديني الإيماني العشوائي والعلمي والمادي وعلاقة الرفض والقبول، فكيف به يتفاعل مع وجودك وتحمله بين جنباتك يتحرك فيك، ربما عندما تشاهد حدوث نهايات للآخرين وربما لا، وهذا يكون تقبّل علاقته بالموعظة الإيجابية أو رفضها.

إن حواريتي هذه معك ومع ذاتي تحمل غاية البحث والسؤال عن الرحلة الجديدة في العالم الافتراضي، أولاً العقلي وثانياً العالم الآخر، وهل هذا العالم ممتلئ بالحياة كما هو الحال في حياتنا المادية، قد أكون كررت ذلك مراراً وغايتي ألاّ ننسى ما نحن فيه الآن وما ندخل عليه.

مرة ثانية أعود لأتنصَّت على الحياة المادية التي دخلتها بعد أن خرجت، أتجول واستمع وأشاهد ما يقال عني فأجد أنني أسعد وأحزن فهنا يكال لي المديح وهنا أُذم وهنا منسي وأقول محدثاً نفسي لماذا..؟

يجب علي أن استعيد كل ما فعلته في حياتي منذ أن بدأت

رحلة التسجيل في ذاكرة الوعي وفهم الصح والخطأ الذي أبعدني عن أكل الجمرة وتناول التمرة، إلى أن مررت بمرحلة الاكتواء بنار الجمرة وأنا أبحث عن التمرة لأنتقل بعدها إلى البحث والتفريق بين الجمرة والتمرة، وأنا ضمن الدائرة الكبرى عن مسلك فيه هدف أسير عليه، فهل أنا وصلت أو قطعت مرحلة جزئية أو نصف الطريق، أو حققت كل ما أردت وما أريد لي أن أحققه ليس لي فقط بل للآخرين، وهل عملت لنفسي أم عملت لأسرتي أم عملت لمحيطي أم عملت لهذا العالم الآخر الذي عاش افتراضاً في عقلي، ورافقني ترغيباً وترهيباً طيلة مسيرة معاشي، أم لم أعمل لأي من هؤلاء ولا حتى لي فكنت هامشاً لا معنى له .

يجب علي أن أجيب على كل الأسئلة التي طرحتها لهذه الحوارية، وربما أسأل وأجيب على أسئلة تتولد من خلال الأجوبة التي أردّ بها بكون هذا استمراراً لا ينتهي.

إن الابعاد الثلاثية المتشكلة من البعد المادي الحي والبعد اللا مادي الروحي الذي سيكون لا حقاً (العالم الآخر) والبعد الافتراضي المعاش بين حالتي العالم الحالي والعالم الآخر، هي قضية البحث وغاية التعمق به غاية الوصول إلى فهم الفكر المحمول في العقل الإنساني، وضرورة فتح وإلهام هذا العقل، كي يحدث التنوير الاضاءات التي نحاول أن نسقطها على الظلمات الساكنة في العقل، وهي التي ستعطينا الفهم الأوسع بالعالم الآخر من التوسع في العالم الافتراضي.

هذا الثلاثي الذي نشكّله من فهم التسلسل الزمني للتطور العقلي، الذي أوجد بالتصاعد رؤى فهم الإنسان المتطور عبر التاريخ القديم، بغاية السيطرة على الفرد البشري لا على الفرد الإنساني، وأوجدوا نواظم الرعب والخوف بل من الخشية من المحب للمحبوب، فمن يخشَ يحب ومن يخف يكره، من ذلك تكوّن العالم العلوي والعالم السفلي الذي أنجب من هذه العامودية أفقية هي العالم الماضي وعالم المستقبل،أي العالم الآخر والعالم الافتراضي من اللحظة المعاشة التي تتداخل في المادي واللامادي، والتي توصل إلى عملية الفناء والبقاء وظهور الروح والجسد، فالتجانس حياة والافتراق بينهما فناء وخلود أي عالم آخر وعالم افتراضي وعالم مادي.

لنعلم أن كل إنسان يمتلك حياتين تتجسدان في شخصه المادي، الأولى متلاحمة ومتصلة وتقوده ماديته، والثانية حاملة لها أي الشكل المادي والصورة التي يظهر بها كشكل إنساني، وعند انتهاء الحياة الثانية أي المادية والمقدر عليها الانتهاء والفناء، تنتقل الحياة الأولى أي الروحية إلى العالم الآخر، من حالة الافتراض التي اتفقنا على أنها القائدة للحالتين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن علم الحقائق هو علم الإيمان بالشيء وإدراكه، وألا نكون في حالة الاستقرار الطبيعي والتي تعني التشابه مع باقي الموجودات بحيث يبتعد العقل عن التفكير وآليات التفكر.

وهذا يقودنا إلى سؤال : هل الحياة الثانية في العالم الآخر تظل تعيش في محيطنا أي ترافقنا، وتراقب محيطنا ونتاجنا لتفرح وتحزن بعد رحيل عالمنا المادي، وهل العالم الآخر عالم روحي يتشابه مع العالم المادي في كل أشكاله المادية أي أن هناك منازلَ ومركبات وطائرات وأغذية نباتية ولحومية، أم أن الموجودات في ذلك العالم كلها فقط روحية والافتراض من عالمنا الافتراضي لدى العالم الآخر الذي ننتقل إليه، يحدث في العقل فقط وأثناء الحياة المادية من أجل أن نستمر وتستمر، ولكي يكون للحياة المادية معنى وطعم ورائحة وغنى.

هل يمكن أن يكون للإنسان عقلان، عقل مادي يختص بالحياة المادية وعقل روحي يختص بالحياة الروحية وله علاقة وطيدة مع العالم الآخر الذي نعلمه افتراضاً، فإذا أخذنا مخاً إنسانياً وجدنا أن له فصين متشابهين فهل يعني هذا إثباتاً لما نقول بحيث يتم التبادل المعرفي من خلال التطور البنيوي للجسد المادي الإنساني، فكون الفص الأول من المخ مختصاً بالمادة وبناء الإنسان شكلاً، والفص الثاني له علاقة بالبناء الروحي، وهذا تجسيد حي لمفصل الإنسان بأنه روحي ومادي وعلوي وسفلي، ويمين ويسار وشمال وجنوب، متوحد ومنفصل، قوي ومنكسر، صحيح وضعيف، مستقبل ومرسل، خيال وحقيقة.

إن وجود العالم الافتراضي وجود حقيقي في العقل البشري،

فمثلاً إحساسك بوجود مشكلة يأخذ بك لتصور وافتراض الكثير من التوقعات، وينشئ لديك الأزمات والحلول السالبة والموجبة، وفي النتيجة ربما تجد أن لا مشكلة لديك، أو أن هناك مشكلة لديك، من هنا تطور العالم الافتراضي، وقسم العقل وجلس في الهوة الموجودة بين المادي والروحي، فتارة يطور المادي وتارة يطور الروحي، وأحياناً قليلة ما ينجز ذاك التوازن المحبب بينهما، فيظهر الإنسان متزناً ومن هنا تكون نقطة الانطلاق لعملية الإبداع والتطور والصعود، ويحدث التمايز وتنشأ الندرة أمام الكثرة.

إن فهم العالم الكثيف (البشري المادي) والارتقاء منه، يأخذ بك إلى العالم اللطيف ذي الخصائص العلمية الراقية والروحية السامية ضمن الحياة المادية الثانية، فإذا انتقلت إلى العالم الآخر يكون انتقالك انتقالاً هادئاً بكونك دمجت عالمك الافتراضي بعالمك الروحي مع عالمك المادي، وحققت في الحياة وجوداً فعالاً منطقياً، وإذا عدت تكون عودتك مريحة ومشرقة تعطيك السعادة لعالمك الآخر، فتحلّق في أجواء محيطك الإبداعي والتكويني، كما تحلّق الأنسام الطيبة فوق الورود كالفراشات الجميلة، وإن الميل للشكل أي للحياة المادية يلغي لديك التوازن، ويظهرك على أنك أحادي الجانب، ومهما تجنبت ذلك ستصبغ بصبغته فتأخذ شكله، وإذا أدركت أنك صورته وحاولت العودة فلا مجال إلا أن تعبر العالم الافتراضي لتدخل في العالم الروحي،

وإن دخولك للعالم الروحي والانحصار فيه يعطيك صفة التخصص الكهنوتي أو اللاهوتي أو المشيخي، وأيضاً يفرزك مبتعداً به آخذاً بك إلى اللادنيوية، ولا يستطيع الكثيرون ذلك، فأين أنا وأنتم من كل ما تداولناه في هذه الحواريات.

العالم الافتراضي ليس بعالم شعوذة وليس لديه صكوك تملّك في العالم الآخر، فلا يبيعك ممتلكات مادية ولا عينية، هو عالم يفترض حصول الأشياء، فان عملت لها بتوازنك العقلي حقّقتها في عالمك المادي الحي المعاش أو عالمك الروحي بعد الانتقال إليه والذي نسميه العالم الآخر.

فما تزرعه تحصده، والذكرى التي تبقى لك بعد رحيلك هي مقدار ما تفترضه في حياتك الحية، فإذا عدت بروحك وكان معك الافتراض في الأساس ترى ذكراه كما افترضته فكيف كنت يكون.

وللعلم إن الافتراض وعالمه غير الخيال، فالخيال في نسبته العظمى وهم، والباقي قابل للتحقق، بينما الافتراض حالة تجانس بين الروح والمادة تقبل الخطأ وتظهر من واقع أن لا مشكلة بلا سبب، ولا نار بلا دخان، ولا دخان بلا فضاء ولا فضاء بلا كون ولا كون بلا إنسان.

هذا الكون الإنساني هل يكون إن لم يكن به إنسان، فهو كائن الكون وبدونه لا كون، فمن الذي سيعرف عن الكون لذلك كان سبب الوجود وفرضه من حقيقة الحقائق، أي الحق ليعرف الافتراض والفرض والفرائض، وما دام بحثنا

في العالم الافتراضي فلنفترض أن هناك عوالم معاشة في كواكب أخرى، فهل نحن بمغادرتنا لكوننا هذا ننتقل إليها أم نتبادل معها أم لا يوجد غيرنا، فنحن أحيينا هذا الكوكب من قوة الذي فرضنا في حقيقة الكون لنفترض وجوداً آخر محيطاً ضمنه.

إن الخوض والإبحار في هكذا بحث دقيق، يحمل مخاطر الإبحار بكونه فيه السكون والأمواج، كما أنه يمتلك السطح والأعماق والكنوز واللآلئ والأخطار، هو شبيه ومتشابه بين العالم المادي الروحي في تجانسه، والعالم الآخر الروحي في افتراضه، فالخطأ فيه ينقلك فوراً إلى العالم الآخر وتعلّم البحث فيه من خلال الخوض يأخذك إلى ذلك العالم لترى ما به، ويعيدك كما يحلم ويأمل ويفترض كل إنسان أن يرى ما في ذلك العالم الآخر، ليعود ويروي لنا ماذا شاهد ورأى، وبما أن ذلك العالم الآخر يعيش في داخلنا افتراضاً، ولم يعد أحد من ذلك العالم ليروي لنا ماذا حدث معه، فلنفترضه عالماً جميلاً رائعاً متكاملاً في الحياة الروحية السامية التي نتخلد بها، تاركين أعباء الحياة المادية وهمومها وتعبها ومشاكلها لنفترضه عالم التألق (العالم الآخر) ولنعيده إلى موقعه في العقل ونركنه في إحدى زواياه، نستخدمه أحياناً ترغيباً وأحياناً ترهيباً ضمن حوارية حساب الذات، علّنا نصل إلى الأفضل في الشكل والفعل الإنساني، ونسلّم للآخر الإنسان بعد انتقالنا الشكل الصحيح من الحياة، فنسعد

في العالم الآخر افتراضاً وحقيقة، ونستمع من هناك أننا حصلنا على التقييم الايجابي فنرتاح، هذا هو العالم الافتراضي يتربع في العقل الإنساني بين عالمين: عالم المادة وعالم الروح، لنحاول فهمه واستيعابه والتمتع به.

الماضي

إنه أمسُك الذي استفقتَ منه، ويوم البارحة الذي أمضيته، وأسبوعك وعمرك الذي عشته وخلّفته وراءك إلى أن وصلت إلى يومك الذي أصبحت عليه هو ما مضى من عمرك وما تعلّمته وحملته في فكرك ومسيرة حياتك، لا بل هو المخزون المشاهد من بصرك وبصيرتك، وما ورد إليك من أخبار الآخرين في محيطك، وما سجَّلَته ذاكرتك عن مجتمعك وأمتك، وكم قطعت من المسافة التي تريد أن تقطعها، والسنون التي تراكمت فأوجدت لك عمراً، وعند سؤالك عن عمرك تقول: ثلاثين سنة أو أربعين أو خمسين أو أكثر، إنها مضت ودخلت إلى سجل التاريخ الذي هو الماضي سجلك، أجل الماضي زمن مضى ويمضي عبر مسارات خطية تقتطع كل يوم منه مسافة تدخل في الماضي، وأنت تسير إلى الأمام وحاضرك يمضي من بين يديك، إن كنت تعلم أم لا ومستقبلك تسعى إليه ليمسي حاضرك، في إصباحك ماضياً ومستقبلك حاضراً وهكذا دواليك، فإذا أبحرتُ وإياك في رحلة البحث

لفهم الماضي والحاضر والمستقبل نبدأ من اللحظة، ونسير فأول لحظة تمضي بها هي الماضي، واللحظة التي نصل إليها هي الحاضر وما سنصل إليه هو المستقبل وعند وصولنا إلى الهدف يغدو الجميع في الماضي لنبدأ من جديد في رحلة البحث والاستكشاف، فلسفة تكوينية غايتها إنجاز وإثبات أن الماضي هو الأساس، وأن الحاضر هو المعاش والعيش، وأن المستقبل هو المنظور المراد الوصول إليه.

طبعاً إن الماضي كبير جداً، واسع وعريض موغل في أعماق أعماق الحياة الإنسانية والكونية، خزان هائل للحاضر الضئيل المتجسد في ساحة عيش الإنسان، والمستقبل الذي يراود الإنسان العاقل خططاً وأحلاماً وأهدافاً قد لا تتجاوز عمره، وقد يصل إليها وقد لا يصل، والميزة في الماضي هي أنك تستطيع أن تصل إليه وتنبش فيه وتبحث عما تريد، لتجد أكثر مما تطلب، ويلفت نظرك إلى أشياء وقضايا لم تكن لتراها لولا وجوده، فهو وبالإضافة لكونه خزاناً كبيراً تجد فيه كل ما تبحث عنه، تجده يساعدك في فهم حاضرك، وبدونه لا تستطيع الانتقال إلى المستقبل.

هكذا هو الماضي، من مضى ورحل وابتعد وأوغل في الخلف البعيد، وبالرغم من وجود ميزة النسيان في العقل الإنساني، والتي لها علاقة في الاستذكار وفقدان الأشياء، أؤكد على أن الذاكرة الإنسانية العقلية هي ماض مخزّن نحاول استعادته حينما نريد، ومن هنا أسجل ما أفعل أو أحاول الاحتفاظ

في ذاكرتي العقلية اللا متناهية في الدقة إن أردت تنظيمها وبرمجتها. الماضي قريب جداً وقريب ومتوسط البعد وبعيد موغل في البعد، أوله بين يديك وأوسطه تتابعه عيناك وأبعده ذاكرة وتذكّر، والموغل منه بحث وتفتيش وتنقيب، وإذا تحدثت إليك وقلت لك زمان فيعني ماضياً، وزمن جزء من الزمان الذي يحتوي الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل والوقت عداد زمن الحاضر، يمضي إلى الوراء من ساعته، والساعة والدقيقة والثانية ما هي إلا مواقيت، صحيح أنها تسير إلى الأمام ولكنها تسجل كل لحظة منك في الماضي من حاضرك، الذي هو بعد لحظة يغدو إلى الوراء ماضياً دون أن يلتفت إليك أو تنتبه له.

تأكد أن الماضي هو إنجابك يضاف إلى إنجاب الآخرين الذين بجانبك وحول محيطك، وعندما تنجب تدخل في رحلة الرحيل إلى الماضي، ليتقدم إنجابك إلى المستقبل، فالآن تخيل أنك أنت الحاضر تنجب الماضي والمستقبل فكم أنت عظيم أيها الإنسان، أنت الزمان والزمن والأزمان، أنت الماضي والحاضر والمستقبل، أنت الحياة وجدت لتعمل لها وبدونك لا حياة، فعندما نقول دون ذاك وأخبرنا هذا واكتشفنا ما فعل أولئك، ووجدنا أثراً صنعه قوم سومر وأكاد وعاد وإرم ذات العماد، والمسماريون والهيروغليفيون، كل أولئك وهؤلاء ونحن ماض بعيد، وبسيط وقريب وحاضر ينتظر وينظر إلى أن يدخل إلى كل أولئك، ونمسي ماضيا يصبح عليه

الحاضرون لينتظروا دخولهم بالتتابع إلى الماضي هيا فإننا نعمل للماضي، وليكن عملنا جيداً فكلنا ماضون، ومعنى ذلك أن أرواح أعمالنا هي الباقية في شواهد الماضي الذي سيتحدث عنه المستقبل، إنه الماضي الذي لا مستقبل بدونه، فهو مخزون الحاضر الذي سينقلنا إلى المستقبل، وبدونه لا مستقبل، أنت أيها الإنسان إنسان ماضٍ إلى حاضر ومستقبل لتصل في النهاية إلى الماضي.

الحاضـــر

يكفيك ان تنظر في المرآة أو تلتقي بالآخر أو مع أي شيء، لتعلم أنك حاضر موجود، وأنك تتعرف إلى شخصك من خلال دائرتك التي تعيش فيها صغيرة أو كبيرة، حينما ينادى عليك وتجيب بأنك حاضر فتشعر بالطمأنينة وهدوئك، وتلاحظ قدرتك على تجاوز المجهول وتنظيم أمورك بهدوء وتنخرط في يومك، تشاهد الآخرين أفراداً ومجتمعات، وتتكون لديك حقيقة حضورك في الحاضر، فتنفعل فيه وتفعل وتنصهر وتذوب، وتنشغل في حوار الحاضر غايتك صناعة الماضي والتهيئة والتحضير لتصوّر المستقبل، وفهمك لحاضرك يعطيك اختصاراً تنجزه في اللا اختيار للماضي الذي لا تعرف أنت بقرارة ذاتك كيف سيكون عليك، إن فضاءاتك المتجسدة في الماضي والمستقبل لا تظهر إلا من

خلال حاضرك، فهو الذي يسجل وينبئُك كما ينبئ الآخرين عنك.

ومن سياق بحثنا في الحاضر، لا بد أن نقول: إن الماضي زمن لديه سجل نكتب فيه تاريخنا، ويمكن أن نطلق عليه (إنه التاريخ)، كما أن المستقبل وتطلّعنا إليه وبحثنا فيه هو حاضر عندما نصل إليه ونتجاوزه يصبح ماضياً ومن الحاضر هو الماضي الذي سنصنعه غداً، من هنا نقول: عن الحاضر بأنه مركز له اتجاهان متعاكسان وهذا المركز رابطة بين زمني الماضي والحاضر، يعطي للماضي ويسجل فيه ويصنع للمستقبل أملاً على أن يكون فيه، وأيضاً يستند الحاضر في صناعته إلى الماضي فيأخذ منه ويستفيد مما سيأتي يراقبه ويتهيأ إليه.

الحاضر ليس أنا الفرد ولا الإنسان بمفرده، بل هي كلمة الحياة، ما إن تتفتح عيناك حتى تراه بطولها وعرضها ومحيطها هو الأرض وما عليها، والسماء وما بها وما بينهما، إذاً الحاضر هو الحياة فعندما تستيقظ تضع يدك على قلبك فتشعر بأنه ينبض، وتنهض متحركاً لتعلم أنك حي فتعلم أنك حاضر، ولا ينتهي حضورك إلا باختصار حضورك الكبير جداً إلى نقطة متناهية في الصغر هي الموت، حينها تنتقل من الحاضر إلى الماضي والمستقبل في آن معاً، وتغدو مستقبلاً ماضياً لا رجعة فيه وحضورك من نتاج عملك، خيال روحي لا جسد فيه بل صورة خيال.

إن تعريف الحاضر والحضور وفهمه وتعزيز فهمه، ضرورة فكرية حياتية له علاقة بآلية التطور الإنساني، وأشكاله الصناعية والزراعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، ومعرفتك لحاضرك هو انجاز مقدّر ومقيّم في أعلى مراتب الحياة،بكون أنك لا تستطيع أن تنجز دون تواجدك فيه، كما أنه لا يمكنك من الحاضر أن تكون في الماضي أو في المستقبل، فهو وكما ذكرت وجودك بين الأمام والخلف، وفعلك قيمتك الحاضرة التي يجب أن تنجزها إذا أردت الوصول إلى المستقبل لتتخلد في الماضي، قد تقول لِمَ هذا التعقيد، وأنا أختلف معك وربما أتفق بكون الحاضر متاهة لها مدخلان: مدخل وأنت حاضر يأخذك إلى الماضي، فينساك الحاضر الذي أنت فيه فعلاً ويهملك ولا يراك ولا أنت تراه وهنا أطلق عليك أنك موجود ولست موجوداً بكونك لم تستطع أن تفعل للحاضر شيئاً أما إن فعلت وأنجزت فسيأخذ بك المدخل الثاني إلى المستقبل ليسجلك فيه حاضراً وماضياً، وأما إن همت فيما بينهما فإنك ستضيع لا محالة في حاضرك، وستنتهي فيه وستكون هامشاً غير مرئي، تبحث عن حضورك فلا تجده، لذلك أتحاور معك وأخاطبك بأنّ حاضرك هو أهم ما تملك في حياتك المقدرة بين نقطتي الماضي والمستقبل، فكيف ستصل بينهما، وهل هذه المسافة بينهما بطولها وعرضها هي حاضرك الذي تبحث عنه كل يوم؟ سؤال كبير أدعه لك وبين يديك آملاً منك أن تبحث فيه.

لاحظ معي أن قراراً تتخذه وتريد أن تفعّله، هو مجموع تصورات الماضي كي تعيش في الحاضر، وهو بالتالي سينقلك إلى المستقبل، فإذا تفكرت وتخيلت تتفكر وتتخيل ماضياً منه تستنبط الحاضر، لتصبح عالماً عارفاً ما تريد أن تعلمه لتعمله في حاضرك، هي فلسفة تكوينك الفكري ماضية لحاضرك تنقلك إلى المستقبل، ليدرس كل واحد منا حاضره الذي فيه ماضيه ومستقبله، وليختر إلى أين يريد من الحاضر أن ينتقل.

المستقبل

أن يكون لك هدف تعمل له، وتجهد لتصل إليه، يكون بالنسبة لك المستقبل القادم من خلال مشروع قابل للتحقيق، عندما ترسم، أو تُخطّط، وتثبّت نقطتي البداية والنهاية، وتبدأ بالمسير يعني أنك تنطلق إلى المستقبل، فالحاضر هو التكتيك، والمستقبل هو الاستراتيجية، والفرق بين المستقبل والحلم أن المستقبل واقعي، والحلم أداته، ويبقى حلماً في العقل طالما أنك لم تسعَ لتحقيقه، ولم تخرجه إلى الواقع، ولا يمكن لك أن تنطلق إليه دون أن تكون حاضراً في الحاضر الذي يبني في أعماقك الفكرية حاجة التطور، وفهمك لأسباب وجودك وإرادتك فيما تنوي أن تصل إليه، وأن تدعه بعد أدائك لمهامك الحياتية، وانتقالك للعالم الروحي الجديد،

فمن هنا ننطلق لفهم فلسفة تكوين المستقبل، والتي هي في شكلها الأولي والنهائي فلسفتك ودراستك لتكوينك بشكل فردي، وطموحك وأحلامك هو تخصّص علمي إن سعيتَ له تعلُّماً، وعلماً به وصلت إليه، ونِلتَ منه ما صبوت إليه، وإن درسته بشكل عام، واهتممت بذلك، أدخلك في فلسفته، وأوجد لك نوعاً من أنواع الوعي في المصير الكلي، أي التخيل زائد العلم.

وإذا كان المستقبل هو أحد أبعاد الزمن الكبير المقسّم إلى أزمنة، ماضٍ وحاضر ومستقبل، منحنا هذا البعد قوة التطلع من خلالٍ تراكم المعرفة من الماضي إلى الحاضر، فكون البعدين معاً تطلّعا في العقل وفي البصيرة إلى أين نسير، ففهمنا أننا نمضي إلى المستقبل لا إلى الموت، لكون الموت لا علاقة له بالمستقبل، ولكوننا ننتقل من حياة إلى حياة في العقل الروحي، معنى ذلك أننا نستمر في المستقبل، وعلينا أن نعمل له دون المساس بحالة الموت.

المستقبل يحتاج إلى خطوة لتبدأ في المسير إليه، وهنا أعني التقدم إلى الأمام انطلاقاً من أداءِ مهمات الحاضر ومتطلباته، فلا يمكنك أن تنتقل إليه دون إكمالك لشروط الحاضر، فإذا انشغلت في مهام الحاضر، ولم تنجزها فإنك لن تستطيع أن تنتقل إلى المستقبل، وبشكل أدق إن لم تنجز الحاضر لن تتقدم، وإذا تقدَّمتَ، معنى هذا أنك سِرتَ إلى الأمام، وإلى الأعلى، فالمستقبل يتعامل مع مسيرك المتقدم، بمعنى

أدق، كلما خطوت خطوة إلى الأمام، اتسع فكرك، وفتحت له الآفاق، وازدادت الأحلام، وطال مدى التطلع في البصر والبصيرة، أي أن المستقبل مساران، الأول ممكن بشرط أن تفعله وتمارسه، فيكون بذلك إرادياً تحققه من خلال رسمك له، وفعلك للوصول إليه، والثاني أيضاً ممكن ودون شروط، لكنه موجود ضروري، ومتعلق بالمستقبل الإنساني، فتكون به مشاركاً مزدوجاً، إرادياً ولا إرادياً، وترابط المسارين، ترابط عضوي عند العاقل الباحث في العلم والمعرفة وعنهما بدليل أنك لا يمكن أن تحقق مستقبلك الفردي دون حفاظك على المستقبل الإنساني الجماعي بكل ظروف حياته الذي أنت موجود فيه كجزء من محيط.

المستقبل أوجده الإنسان من أجل استمرار الطبيعة والمخلوقات لكونه مالكاً للعقل، وبذلك لا مستقبل للطبيعة إلا من خلاله، فالطبيعة ثابتة، فما هو مثلاً مستقبل القمر، أو مستقبل الشمس، أو مستقبل النجوم، أو مستقبل الليل والنهار، فالعلم الروحي أعطاها وصفاً دقيقاً، حيث ورد في الكتب المقدسة (وكلٌّ في فلك يسبحون)، وأكد على أن أي خلل يحدث لها ينهي الحياة الكونية، فمن هنا نثبت أنها كلها ثوابت، والإنسان وحده هو الذي يصنع بفكره التطور، وآثاره كانت مستقبلاً في الماضي، ليتعلم إنشاء مستقبل من الحاضر إلى القادم.

لقد بدأ علم المستقبل مع ولوج الإنسان للحياة، وتعرّفه

على ذاته، وبحثه الدؤوب للحفاظ على جنسه، وحمايته كان هو هدفه الرئيس، والذي يكون في حقيقته المستقبل، أجل بعد حدوث الوعي الكبير، وإنجازه للثورة الفكرية وعطاءاتها المتعددة، ومنها أوجد الفكر الإنساني مساحة كبرى للمستقبل الذي أخذنا نسميه المستقبل القريب، والمستقبل المتوسط والمستقبل البعيد، وغاية كل ذلك أن نجعل غداً واضحاً، وبعد غد محققاً، وبعده أميناً، لذلك يتم الآن العمل لتحويل الغد وما بعده من مجهول إلى معلوم واضح المعالم كحد أدنى، الكثافة البشرية الكبيرة وتسارعها نمواً دعا الجميع للتخطيط للمستقبل، سواء كان في المسكن، أو الملبس، أو المطعم، فلم يعد مقتصراً على اليوم لكونه لا يعيش لليوم، بل لغده، ولبعد غده.

إن القضاء على فكرة الاستسلام للحاضر لإزاحة الكثير من الصور الفكرية المنتشرة في ذهنية البشر، والتي أثَّرت على الكثرة، وحولتهم لمتقاعدين، عاجزين عن المشاركة في صناعة المستقبل، والحصار المفروض عليه القادم من الأفكار الجامدة، وتسلُّط الإنسان على أخيه الإنسان، أصبح ضرورة إنجازه، فالإنسان ولد طموحاً، حالماً، فاعلاً، ومنفعلاً، مشكّلاً منهم المستقبل، ولكان بدون ذلك قد انتهى منذ ذلك الزمن البعيد، فلكل واحد منّا مستقبله الذي يحلم به، مرهوناً بمدى ما يعمل له، ومسؤولاً ضمن المجموع العام عن مستقبل الإنسانية ومستقبل الكون بشكل عام.

التـــراب

مكوّنٌ رئيسي في تشكيل الكون بصورة كواكبه، ومنه جبل الإنسان وأُعمر وتم بناؤه، وكذلك النبات والحيوان وإليه يعودون بعد انتهاء رحلة حياتهم المقدّرة يضمّهم يتفاعل معهم، ويستمر بهم بعد أن يتحولوا إلى موضوعنا الذي نتحدث عنه التراب، إنه الشكل المدني للإنسان، وبدونه لا شكل ولا صورة ولا بناء ليس له نوع، فهو أديم الأرض ومنه كان اسم آدم، مثل مكونات الطعام أيضا تحتاج إلى الإدام، فالماء والهواء لا يكفيان لصنعه بل يحتاجان إلى منتجات التراب، وبإضافة الماء والهواء إليه تتم عملية تكوين المادة وتحويلها إلى حقيقة مشابهة تماماً لتحوّل التراب إلى طين لازب أو صلصال كالفخار، هو مجموع ذري يضم المعادن العشرة إضافة إلى سيليكات الألمنيوم والمنغنيزيوم والبوتاسيوم والكوارتز والميكا وأكاسيد الحديد والرماد البركاني ودقائق الأملاح، وفيه بقايا النبات والبكتيريا وآثار الغبار الكوني وغبار الشهب، وأهم ما فيه هو تراب الإنسان بعد فنائه، لذلك كله فالتراب هو الإنسان فإذا حلّلنا الإنسان كيميائياً نجد التشابه في التكوين فمنه كان الخلق وإليه يعود.

التراب طبيعة الأرض، ومنه نحمل طباعنا ننجز منه وننجذب إليه، فيه الجاذبية وطُهُرنا ففيه الطُهر، ولذلك

يؤخذ به إن لم يتوفر الماء للتطهر، فكما الماء والهواء نحمل طباعها نحمله أيضاً ليس فقط كمكوّن بل مؤثر نتأثر به، وهو في ذات الوقت حامل لكل هذه الطباع المادية والروحية، وبدون تجمّعه كان بقاؤنا مثل الذرات نهيم في الفراغ اللا متناهي، يحضن الماء ويسيل على وجهه جداول وانهاراً، لنعيش على محيطه فنزرع به ونبني عليه المدن والبلدان، هو مولد وأساس كل أنواع المادة وعند فناء المادة كالإنسان تعود إلى تراب.

التراب من ترب، وترب الشيء بمعنى أصابه التراب، وترب الرجل أي افتقر، وكأنه التصق بالتراب وترِبت يداه بمعنى لم تعد تُصِبّ خيراً، وأترب الرجل أي استغنى وكان له من المال بقدر حبات التراب، والترِب بالكسرة اللذة وجمعه أتراب، والترائب هي عظام الصدر، والتراب تراب فقير مثل الإنسان ما لم يعمل له ويكّد من أجله، ولا نفع فيه إن بقي بمفرده ونفعُهُ في تحريكه وتقليبه وزراعته وصناعته، ودراستنا له تعني دراسة لبنية أجسامنا ومحتوياتها التي تتكون جميعها منه كمواد مجموعة في مادة.

للتراب رائحة، زكية مثل العطر، نستمد منها حب الحياة فعندما يهطل المطر أول مرة على تراب الأرض حاول أن تستنشق رائحته، واعلم أنها رائحة الحياة وروحها في اللاشعور وفي الشعور، تعطيك حبّها لكونك مولوداً منها وأينما تحل وترتحل تحمل الشوق والتشوق بين جنباتك،

ويكفيك شمُّ تربة أرضك المولود منها مرة واحدة، لتعرف لونك وشكلك الذي تكونت منه، وعند التقائك مع الآخرين أول ما يسألونك: من أين أنت فلون ترابك يستدل عليه من لون بشرتك، وعندما صاغنا الإله قبض من كل مكان قبضة من تراب هذه الأرض، لنشاهد اليوم ألوان تربتنا على وجوهنا، فالأبيض والأسمر والأسود والحنطي والأحمر والأصفر هي ألوان تراب انتماءاتنا التي قدِمنا منها من وجه هذه البسيطة.

إن التراب جسد الحياة وأجسامها الحية، فبعد عملية الخلق الإنساني والحيواني والنباتي، عاد الإنسان ليبحث في ترابه ويشتق منه آليات تطوره وتطويره، ويصنع كل ماديته مقلداً بذلك كل الحالات الروحية ومشكّلاً في عودته بعد رحلة معاشه مع مادته، مادة التراب فالكل من تراب والكل إلى تراب.

الماء

أحد أهم مكونات الإنسان مع التراب والهواء، وهو جملة الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية، ولم يكن لكوكبنا الأرضي أن يحيا بدونه، ومعه سُمِّي الكوكب الحي، وباقي الكواكب غير حيّة بكون الماء غير موجود فيها فالماء حياة و به نحيا ويحيا كل شيء معه.

الماء اسم مطلق وجمعه مياه، وهو على نوعين: صاف عذب نحصل عليه من الأنهار والينابيع والأمطار والثلوج والقطب المتجمد الشمالي والجنوبي، ومالح من مياه البحار والمحيطات، وللوحتها أسباب وجود عوالم بحرية وسر من أسرار التوازن الكوني، يحتل الماء نسبة ٧١٪ من مساحة كوكب الأرض الذي نعيش عليه، وهو متواجد في الخلية الحية بنسبة ٥٠- ٦٠٪ ويشكّل في الإنسان الجسد ما يعادل من ٥٤٪ إلى ٧٠٪ وهذا ما يعادل مساحة الماء على الكرة الأرضية، وحجم اليابسة هو كتلة الإنسان المادية الجامدة.

وللماء أيضاً علاقة بعلم الطبائع الإنسانية الذي يؤثر على الإنسان، الطبع المائي والطبع الهوائي والطبع الناري والطبع الترابي، ونحن نمتلك منه كل ذلك، ومن خصائصه أن لا لون له ولا طعم ولا رائحة ولا يمسك بل يعبّأ، ويمكن أن يخزّن، الماء ذلك المركب الروحي في اللامادي والكيميائي السائل الشفاف، في المادي الذي يتألف من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين وصاحب رمز (H_2O) عرفنا ذلك بعد تحليله ولا يمكن تركيبه إلا كيميائياً دون استطاعة صناعته أو تقليده، وكل حالة روحية طبيعية يمكن تقليدها مادياً والاستفادة منها في مكونات الحياة الأساسية، إلا الماء والهواء والتراب، والروح التي تكون ضمنهم لا يمكن صناعتها أو حتى أشباه لها، إنه موجود في حياة الكون وبين الكواكب وحول الأرض على شكل رطوبة في الهواء وبخار داخل وخارج الغلاف الجوي.

إن روح الحياة الماء، ولذلك هو في حركة دائمة، فإذا سكنت الحياة وتوقفت سكن الماء لتنشأ الأوبئة والمكروبات والفطريات، ويتحول إلى ماء ميت روائحه كريهة كالجيفة بروائحها، ولذلك لا يكفُّ الماء عن الجريان والحركة، في مد وجزر ودوران وسيلان، لذلك أقول: نعم يموت الماء إن فقد روحه كما يموت الإنسان عند صعود روحه، فالماء حياة وحياته في عذوبته يتعامل معه البشر يدرون أو لا يدرون أنه حياتهم على الرغم من جهل قيمته في كثير من الأحيان، طبعاً الماء حياة يدخل على الأرض الجدباء الجرداء ليعمرها بالإنسان من خلال وجوده .

يحق لنا أن نبحر في بحر العلم، وغايتنا الوصول لحقيقة الماء وجوهره، أهو روح أم أنه مثل الإنسان مخلوق روح ومادة، وإذا سألنا أنفسنا كيف يجري الماء ويتحرك ما هي القوة الدافعة لصعوده ومن ثم مسيله وآلية المد والجزر البحري وعلاقته مع القمر والشمس والأرض وسر الجاذبية ودورانهما وظهورهما واختفائهما لعرفنا أنه روح الإنسان، يأخذها منه ويطرح مادته، وما عملية صعوده إلى السماء وتشكيل الغيوم والسحاب إلا عملية صعود الروح وتطهيرها، لتصبح زلالاً ينعش الإنسان والنبات والحيوان ليطهّرهم جميعاً بطهره الظاهر والباطن الكائن فيه، وكل ذرة تعيش وتسبح في هذا الفلك تبحث عنه نعم لا يمكننا أن نشرب الماء الآسن والقاسي والراكد أي الماء الميت بل نشربه عذباً صافياً، نحس

به وهو يدخل جوفنا كيف به ينجزلنا الحياة فنستمر وتستمر، نعم الماء حياة وسر الخلود والبقاء، وأهم من أهم مكوّن من مكوناتها، فمنه أنجزت جنان عدن وغاباتها، وظهر التفاح فيها والتين، وبه نعرف نظافتنا الظاهرة والمخفية، بدأت الحياة به وبانتهائه تنتهي، ولا يمكن الاستغناء عنه فهو مضاف في حياتنا اليومية، مضاف على شرابنا وطعامنا وكسائنا وحركتنا، وخوفنا عليه خوف على حياتنا وروحنا، وضرورة رعايته وإيجاد آليات بقائه وعدم نفاده مسؤولية كوكبنا وحياتنا الجماعية، إن أردنا الحفاظ على جنسنا البشري ومع ازدياد الكثافة السكانية غير الطبيعية وذوبان القطبين المتجمدين تدريجياً، وهما خزانا الأرض الهائلان اللذان ننهبهما ونتعدى عليهما بوقاحة، والتصحر القادم نتاج نقص الماء وارتفاع مناسيب البحار يؤدي إلى عملية غزو المياه المالحة لليابسة، التي تزيد في ملوحة الأراضي وتسرع في قضم الأراضي الخضراء، مما يساهم في إنهاء الحياة الكوكبية التي تخص كوكبنا الحي بالماء فقط من بين كل الكواكب، إن الماء يحتاج إلى الرعاية فهو يتألم ويئن من استخدامنا الجائر له، فهو مثلنا له روح تصعد وهو مثل النار لا مادي يصعد إلى السماء ويبقى فيها منحبساً، إن أصررنا على الإساءة إليه، الماء الماء لنحافظ عليه نحافظ على الحياة بكل تنوعها .

الهـــواء

لا لون ولا طعم ولا يُمسَك به، يملؤنا حياة وهو أحد مكونات الحياة الكاملة ويمر في كل مفاصلها، ويدخل إلى أجسادها عبر فتحات وجدت في أجسامها، وهو مثل الماء تماماً روح الأحياء، لذلك وجد الأنف في الإنسان والحيوان، وأتصور أن للنبات أنفاً لا مرئياً على شكل مسامات في جذوعه وعروقه وأغصانه، حتى التربة تتنفس من شقوقها وفجواتها، والصبح أيضاً يتنفس كما في الآية الكريمة: (والصبح إذا تنفس) ويكون تنفسه عند انبلاج الصبح وظهور خط الشفق، نعم إنه الحياة ولا حياة بدون هواء، فهو الضلع الثاني الرئيس لوجود الحياة، ويسمى النَفَس، فإذا زاد تم إنقاصه بالتنفس أي إزالة جزء منه لتعتدل الروح والمادة، مثل إطار السيارة والانتفاخات البطنية وإلا ستؤدي إلى الانفجار.

الهواء خليط غازي طبيعي متجانس يملأ الكون ومحيط كوكبنا الأرضي الحي، يخص كوكبنا ويعيش تحت الغلاف، فلا يختلط بالغبار الكوني، يتكون في الأساس من غازي ثاني الأزوت بنسبة ٧٨٪ وثنائي الأوكسجين بنسبة ٢١٪ تقريباً، كما أنه يرافقهما ثاني أكسيد الكربون بنسبة أقل من ١٪، وفيه من بخار الماء وبعض الغازات الخاملة الكثير الكثير المتنوع. ونسبة الأوكسجين التي نسميها الهواء النقي ضرورة

حتمية لدوام الحياة بكل تنوعاتها، ولا عيش بدونه بكونه يدخل في تركيب كل أنواع الخلايا الحية بنسبة تعادل ربع مجموع الذرات الداخلة في تركيبها، لذلك نرى أن عملية التوازن والتكامل في الحياة الروحية تحتاج إلى الهواء الحامل للأوكسجين الموجود في الهواء المحيط، وإذا نقص تقوم النباتات بعملية تعويضه من خلال عمليات التكامل الضوئي في نظم البناء الكوني الكامل، إذاً الهواء مع الماء والتراب مكونات حقيقة الكون المشكّلة لمعادلة الخلق الكامل الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وفقدان عنصر من هذه العناصر يعني فقداناً لجملة الحياة ودفعة واحدة وإلى غير رجعة، فإذا قارنّا نجد أنه يقترب من الروح بكونه لا مادياً أيضاً، وإذا منعته تصعد الروح فوراً ويتبقى المادي، وهذا يدلنا على أن الروح هي التي تتنفسه لا المادي الذي يستفيد منه في فعله وحركته المادية، إن حاجة الماء للأوكسجين كحاجة الإنسان له فلولا ذرة الأوكسجين مع ذرتي الهيدروجين لما كان الماء.

يجب أن نعلم أن الهواء الذي يحيط بنا هو خاصية كوكبنا الحي، يعيش معنا فقط تحت غلاف الأوزونات الحافظة لحياتنا التي لا تكون بدون الهواء والماء، وطبقة الغلاف الجوي التي تحوي الأوزونات تحتاج لاهتمام كبير بكونها تمنع تسرّب الهواء الذري الحامل للغبار إلى خارجها، كما تمنع الأشعة الكونية ودرجات الحرارة الهائلة من النفاذ إلى

محيطنا الأرضي الذي منه نحيا، فكم هي الحاجة كبيرة اليوم للحفاظ على غلافنا الجوي الذي يحمينا ويحمي ماءنا وهواءنا المسؤولين عن حياتنا.

والهواء بعد كل هذا الحوار عنه، لم يسلم من التعدي عليه وتلويثه بمخّلفات الصراع والتطور البشري، وعدم نظافة البيئة يلوث الهواء الذي يؤثر على النفس الإنسانية، فيزيد فيها الأمراض من خلال الأوبئة التي ينتجها الإنسان في الأساس نتاج حركته وصناعته وزراعته، وفشله في إيجاد علاقات اجتماعية إنسانية راقية، وكذلك نتاجاً لعدم فهم فلسفة تكوينه ووجوده التي تطالبه بالحفاظ على جنسه البشري، وأجناس الطبيعة الموجودة في محيط بيئته.

إن الجدل العلمي التاريخي والذي ترافق مع الرؤى الدينية لم يَخلُق تنافراً بل سعى كل منهما لفهم الآخر أثناء بحثهما عن عملية تكوين الإنسان وجملته الحياتية، إن كان عبر حادثة الانفجار الكوني العظيم ونشوء الغبار الذري الذي جمع هذا الكوكب وصاغه الإله بمكوناته، أو عبر الفتق والرتق الإيماني الذي أخضعه الإله لمشيئته، من هنا تنشأ ضرورة ربط الأشياء بعضها ببعض، فوجود الإنسان وتركيبه البيولوجي والفيزيولوجي مرتبط عضوياً بمكونات الوجود: الهواء والماء والتراب، وهذا الترابط يدعونا للحفاظ على هوائنا ومحاولة تنقيته وعدم العبث به، وتنظيم حياتنا بالمحافظة على الغابات والإكثار من زراعتها، والاهتمام

بالنباتات والحد من انبعاث الغازات وفلترتها قدر المستطاع، وتنظيم الأسرة والنظر في التكاثر الإنساني الهائل وبرمجته، إلى البشرية أقول: تفكّروا وتأمّلوا في الهواء، وأين أنتم منه وما حاجتكم إليه، لتعلموا وتضيفوا إلى معلوماتكم سبباً من أسباب حياتكم الرئيسة، اعملوا على أن تكونوا سالمين من خلال سلامته، فبدونه لا حياة ومعه تكون الحياة.

النار

بما أن الإنسان محور الحياة الكونية وطاقته محركة ومتحركة محرّضة ومتحرّضة، ويرى وينظر ويبصر المحيط الذي هو مركزه يبحث في أدواته وموجوداته، ليرى أن الحجارة أهم مواد التقدم من أجل تطوره مَدَنياً، لذلك عندما قدح حجرين بعضهما مع بعض بتناغم وتسارع فطري تولّدت الشرارة الأولى من خلال ذلك الاحتكاك، لتتولد النار التي تعود لتلتهمه مع حجارته، فيكون بذلك مع أدواته وقودها التي أعني أن الإنسان وأدواته في مسيرة حياته البناءة هي أدوات البناء، وتعني الحجارة أي الماديات التي ينجزها الإنسان تكون وقودها الناس والحجارة.

فهل يمكن أن نعرّفها وندخل عليها لنجد ألوانها الحمراء والصفراء والزرقاء، وأيُّها أشد احتراقاً وحرقاً وأيُها يعطي الدفء أكثر وأيها يفيد ويغني في هذه الحياة، وأين يكمن

سرها هل يكون في جاذبيتها فتتقدم إليها الأشياء المادية لتلتهمها، أم أن جاذبية الأشياء تنادي عليها فتحضر لتتناولها كمائدة المضيف للمضاف، وفي الإدراك العلمي الذي أدى لتعريف ماهية الظواهر التي تحولت إلى حقائق وأنجزت القوانين الفيزيائية، ومنها قانون نيوتن القائل: إن كل جسم في الكون يؤثر بقوة جذب على جسم آخر، فإن مقدار هذه القوة يتناسب طرداً مع حاصل ضرب الكتلتين وعكساً مع مربع المسافة بينهما، فهل النار كتلة وهل الضوء كتلة، وهل تعاني النار من أي نوع من الجذب نحو الأرض عند صعودها إلى الفضاء وكيف بها تتغلب على قوة الجذب، وما هي آلية انجذابها إلى الماديات المحيطة بها.

النار ليست مادة أو شيئاً بحدود ذاتها، فلا تُمسَك ولا توزن، ومضمونها طاقة حرارية وطاقة ضوئية وهي وصف لشيء له شكل متصاعد، ويتصاعد إلى الأعلى لهباً بحكم خفة وزنها وكثافتها التي تقترب من الصفر، ولذلك تتطاول إلى الأشياء وتطالها حتى تصل إلى الفراغ لتمتلكه وتسيطر على كل الأبعاد المكانية، بكونها لا تمتلك الأبعاد إلا في لحظة انطلاقها من نقطة تحوّل إلى طاقة النار، التي تتشكل من مجموع طاقتي الحرارة والضوء وأدواتها (الشمعة العيارية والجول) إن ضبط النار وضغطها يعطيها اللون الأزرق وهو لون قوة طاقتها المنظمة في لحظة الاحتراق الكامل، أما الأحمر والأصفر فهما لونا عبثيتها وفوضويتها وهجومها وانقضاضها

على الأشياء، تبدأ باليابس الهش السريع وتجفف الأخضر منتشرة في كامل المكان، وفي عزم تسارع نوعي لا يقف أمامها أي شيء، حتى الهواء تحلله فتسحب الأوكسجين منه كي تزداد نهماً والتهاماً وتستمد منه قوتها الإضافية وإذا أردت منحها القوة انفخ فيها.

لقد قُدّست النار في العهود القديمة، وقبل الميلاد كانت لها العبادة وبدأت معها فكرة الطواف حولها للتقرب إليها بكونها الشيء الوحيد الذي يصعد إلى السماء، وكل شيء ينتهي تحتها فتبقيه على الأرض فناءً ورماداً تذروه الرياح، ورُسِمت لها الطقوس والقواعد لتكون عبادة نادرة لها مريدوها.

النار فعل حياة، منها اللا إرادي وله علاقة بالكونية الممتلكة بإرادة المطلق والثواب والعقاب، وغضب الطبيعة أيضاً المتمثل في التجسيد الحي من قبل الحي الأزلي عند التعدي الصارخ الفاضح عليها لتنتقم وتأخذ بحقها من أي متعد عليها، ومنها الإرادي الإنساني الذي يمتلكها بحكمة عقله وجهله فيكون عمله في الحياة ناراً إيجابية مفيدة له، إن سيطر عليها وسخَّرها لخدمة الإنسانية فتكون إيجابية في عمله الحياتي تضيء له مساراته وتساعده، فتكون أداة طيبة طيعة بيده، هي هكذا النار نار تبدأ من شعلة هي بيدنا نحن نشعلها فتفيدنا وتفيد الآخرين إن عرفنا استخدامها، تكون فاكهة ليس للشتاء فقط بل على مدار العمر تعطينا من ثمرها حاجتنا إليها، كما أنها أداة رعبٍ عظيمة فذرّة منها

لا تبقي ولا تذر، وكلنا يعلم أن معظم النار من قدحة حجر الذي يولّد مستصغر الشرر، أو من عدم وعي وفهم لطاقتها المكنونة في ذراتها.

الشكل الهندسي

يشير إلى من أنجزه بأنه يمتلك عقلاً هندسياً هائلاً ولا يحاط به، كما أنه يعطي صورة أولية متحضرة عن المنجز من الإنجاز، والانتباه وتعلّم إنجاز الأشياء والأعمال بشكل هندسي لا يحتاج إلى تخصّص الهندسة، يكفي أن تتأمل الطبيعة وتحاول تعلّم الترتيب وفهمه، وأن تدرك جماليات الشكل والتناظر البصري من خلال تفهم طبيعة الحياة وأشكالها، والتأمل البسيط في المحيط والشكل ينجب تطوراً نوعياً، يظهر على الإنسان فيعطيه صفة التحضر والمدنية الحقيقية، انظر إلى الوردة وألوانها وأوراقها، تحوّل ببصرك إلى العصفور أو الطير أو السمكة أو القطة، لا حظ ذاك التناظر الجمالي الدقيق في الأجنحة أو الزعانف أو الأذنين، انظر لشكلك ودقّق في لونك: أبيض أسمر، حنطي أحمر أسود، راقب التناظر المدهش في أذنيك وعينيك وأنفك وشفتيك ويديك وقدميك والأصابع وعددها.
لماذا هذا المدخل البسيط، ولِمَ أدعوكم للانتباه للجمال المحبب والمثير للدهشة، ولماذا يجب أن يتوافق المشهد

مثلك أنت عندما تقف إلى المرآة، كيف تتوحد مع صورتك وتدقّق فيما أنت عليه، إنهم يتابعونك بالنظر، طول الحركة والسكون وعلى مدى اللحظات، والغاية هي أن ألفت نظرك إلى شكلك الهندسي الذي يحمل عقلاً هندسياً، والذي يؤدي إذا تابعته وانتبهت إليه إلى تطويرك ومن ثم يظهرك في مظهر المتطور.

إذاً هذا التناسق الجسدي الذي أنت عليه، ودقة ألوان الحيوان والنبات وتناسبه في ملبسه، والإدهاش في الأحجار الكريمة والرخامية والطبيعية في ألوانها، والانتباه لذلك والتأكيد في لباس النبات أو الحيوان، كل ذلك يدعوك للتدقيق والتبصر كي تقّوي بصرك، لتتعلم كيف تختار تناسق الألوان عليك أي اختيارك البسيط من اللباس المتوافق والمتوازن مع روحك ومع الناس، هل تعودت ترتيب طعامك وأنت في حالة الاستقرار على الطاولة. أو على الأرض، كي تضع الصحن والشوكة على اليسار والسكين على اليمن والملعقة والمناديل، وهل تعودت أن تختار الطعام الذي يحمل القيمة الغذائية لا القيمة الكمية، والسير بشكل منتظم والتوقف عند الإشارة والانتظار لتمرّ، فتشكّل معها زوايا، وكي لا تظهر منحرفاً أو شبه منحرف، إن هذا التحضير هو تحضير وترتيب هندسي يحمل في طياته غاية رسم صورة جميلة للعين، إذا اعتدتَ عليها تكون قد توافقت مع شكلك الهندسي وأديت المهمة الموكلة إليك في حياتِك المطلوبة منك،

كي تكون منتجاً وفاعلاً فيها.

إنني ادعوك وأدعو نفسي معك كما هي دعوة للجميع للبحث في الشكل الهندسي، والذي يكون نتاج التطور العقلي الذي ينعكس على جملة الحياة ومشاربها ومحاورها، هذا التعود يرتقي بنا جميعاً، وآن الأوان لأن نعمل به وإدخاله في جميع مناحي حياتنا اليومية، وبشكل خاص أن نعلّمه لأطفالنا وأن نعلّمهم وضع الوردة في كأس أو مزهرية حتى ولو كانت رخيصة، وأن نضع اللوحة أي لوحة على الجدار بدلاً من تركها هي والوردة على الأرض، إن الانتقال من أجل الحضور والوصول، يتطلب منا معالجة مسائل قد تبدو بسيطة ولكنها في حقيقة الأمر هي صورة أمة وإن تمدين الريف ونشر مجموعة المعارف البسيطة وتوفير الخدمات للشارع والمدرسة والمنزل، وربطها مجتمعياً يبعد ترييف المدينة ويصبح التفاعل حميمياً، وتُزال الفوارق ويأخذ المجتمع شكلاً ومظهراً متناسقاً مألوفاً وغير بعيد عن التوافق الحياتي، المطلوب اليوم على وجه الأرض هذه الهندسة البسيطة للشكل، ولا تحتاج لمال كثير إنما تحتاج الدخول على جوهر التكوين إذا أردنا تطويره، فتصبح له فلسفته التشاركية مع الآخر من خلال مظهره الإنساني المتناسق والمتفهم لقواعد التطور الحياتي، مع احترامه لجوهره المتكون من خصائصه الثقافية والحضارية، وتاريخه المستمد من الماضي، فنحافظ بذلك على الحياة أكثر ولا ننفصل عنها، ويأخذ شكلنا الصورة

العملية المتفهمة لطبيعة الحياة واحتياجاتها، بكوننا نحتاج إليها، نسعدها من فعلنا اليومي فتعود علينا سعادة وبساطه نحبها وتحبّنا.

القـــلم

ما يُكتَب به ويُطلَق عليه الخط ويقال: جف القلم أي قضي الأمر وأبرم، كما أنه السهم الذي يُدار بين القوم في القرعة، وهو على نوعين: قلم خير يكتب به كل ما ينفع الناس ويفيدهم خيراً وصلاحاً؛ وقلم شر ما يكتب به عيب وخراب وإساءة، لقد وُجد القلم بعد العرش ووجوده روحياً كان مثار جدل، وأجزم أنه وجد بعده، وبعد أن وجد الإنسان، فبدون العرش والإنسان لا وجود للقلم والحاجة إليه حاجة كتابة المقادير والتقدير.

إنه الصامت الوحيد عبر مجرى الحياة الإنسانية، يعيش في الفكر أبداً، ويجبرك أن تقرأ حديثه بعد أن تنقله عبر أدواتك إلى تدوين، وحين نبدأ من هذه اللحظة التي تقرأ فيها موضوعه، والذي هو مسار بحثنا اكتبه بدون قلم وبواسطة طابعة الحاسوب، لأجده فكراً أقرؤه على شاشته، كما أكتب على ورقةٍ عبر القلم، فقط لأذكرَّك أنك حتى ولو لم تستعمله فهو موجود في عقلك، فما تقرؤه على شاشات الحاسوب الواردة إليك من كل إبداعات الحداثة (انترنيت

والهواتف النقالة أو شاشات التلفزة) و كل ما سيأتينا من الإبداع القادم،نقرؤه كلمات على أسطر شكلها مكتوبة من قلم، فما تفعله أناملك على الطابعة أو الآلة الكاتبة أو التدوين الصوتي ما هي إلا أقلام تعبيرية وصور للقلم الحقيقي، لقد ظهرت صورته الأولى في إصبعك، فعند الإنسان القديم استخدمها أداة كتابة من دماء الحيوانات، فكانت أول قلم كتب ورسم بها، وقد دلّنا التاريخ الموغل في القدم على رسوم وأشكال وجِدَت على جدران الكهوف وعلى الصخور، وطريقة استخدامه للقلم وهذه الرسوم الدموية وُجِدَت في كهوف الصحراء الكبرى، وفي كثير من أصول الحضارات القديمة، ومن ثم تطوّر فاستخدم الأداة النحتية، فاللغات القديمة مثل السومرية والمسمارية والهيروغليفية التي كانت تكتب على رُقُم طينية أو حجرية، دلتنا أيضاً على نوع من الأدوات الحجريةً أو المعدنية تطوّرت فيما بعد إلى خشبية إلى أن وصلت إلى عصرنا الحاضر بأشكاله المتعددة، رقياً في الشكل والصناعة.

لقد استخدم العرب القدامى قلم البوص المصنوع من مادة القصب قبل استخدام الريشة بأزمان، وكانت المعلقات هي دليلنا على تدوين العرب لشعرهم وما كانوا عليه، وإن التعمق في بحثنا عن القلم نجده في الكتب المقدسة وهذا يرشدنا إلى آدم الروحي وشكل قلمه الأول الذي كتب به (لسانه) ورسالة وجوده المتجسدة في قلمه الإنجابي، وإن

معنى (ن والقلم وما يسطرون) أن الإنسان هو القلم والحياة بمادياتها دواته (محبرته) فما يفعله يسجله وما ينجبه يعطيه الحياة والاستمرار والتسجيل، فشكل الإنسان قلم وفي كل الأقلام أصابعه وأعضاؤه وكل ما يفعله ويدخل عليه هو علاقة القلم بالمحبرة، ولمجرد أن تبحر في فلسفة وجود القلم تجد أنه شكل مستقيم بداخله مادة، مهما تعددت أشكالها فهي تكتب ما تفعله، وما تكتبه عيناك أو شفتاك أو يداك أو قدماك، هي رسائل عقلك المخزون في شكلك العمودي.

إنه السيف والرمح والبندقية والصاروخ، إنه مفتاح تشغيل كل الأدوات، معولك وفأسك ورَفشكٍ، إنه بناؤك على مدار معيشتك وإنجازك لنفسك وأسرتك ومجتمعك ووطنك، إنه إيمانك ويقينك وجحودك، فإن أمسكت به وعَلِم عقلك أهمية ما يمسك به عَمل واشتغل، لينطق بما يجول في فكرك ويسجّل الحِكَمَ والحُكّمَ.

إن القلم أداة الحق، كتب فيه الخالق مقادير الحياة وصوّرها وأبدعها وأرسى مواصفاتها، فكان خلقه للقلم أول خلق وبه عرف فكان الإنسان منه معرّفاً عليه بعد أن قرأ عنه بتفكّره وبصره وبصيرته، ليعود فيكتب عليه إلهامه الذي أُلهِم.

إنه اختراع إنساني أوجده الإنسان من أجل استمرار أخيه الإنسان، وكما ذكرت أول طريقة استخدمت هي طريقة الإصبع ودماء الحيوان، ومن ثم عيدان الأخشاب وريش

الطيور، التي كانت تغمس في الأصباغ المختلفة التي ولدت من سوائل الطبيعة ودماء الحيوانات، وكانت قبل الأبجديات، وهي التي دوَّنتها (القلم والمحابر) ورغم كل التطور مازال القلم باقياً على حاله في المضمون، إنما شكله هو الذي تغيّر، وإلى الآن نتفاخر بقلم المعز لدين الله المتوفى (عام ٣٦٥ هـ ٩٧٥م) والذي كان له الفضل في اختراع قلم الحبر، وهو الخليفة الفاطمي، وقلم لويس وترمن الذي اخترع أيضاً قلم الحبر السائل (عام ١٨٨٤ م) وهو شائع حتى يومنا هذا والقلمان اعتمدا على مبدأ انسكاب الحبر على مجرى معدني نازل، فإذا قلبتَ القلم ينسكب الحبر بفعل الجاذبية ويكتب، وحين يرفع عن الورق ويُغطَّى القلم يتوقف، كما أن قلم الرصاص الذي مازال يستخدم حتى يومنا هذا وسمّي قلم رصاص لكون كلماته كلمات حق وكلمات الحق تشبه الرصاص عندما تنطلق على الإنسان الجاني والمعتدي على الحق، كذلك هو القلم لنتقلَّده ونتعلم كتابة الحق والحقيقة، ونعمل على أن لا يجف لأنه عندما يجف ينتهي وبنهايته ينتهي وجودنا.

القرطـــاس

لسان الشعوب وسجّلها المدوِّن لكل ما يدور من أحداث، ويحفظ فيه التاريخ بأزمانه الماضي والحاضر والمستقبل، وهو

الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها فلا يبدّل القول، ويكون الدليل الفاصل حين تتغير النفوس محاولة التعدي على الآخر، مادياً كان أم معنوياً، ولقد ارتبط القرطاس بالقلم وعلاقته به علاقة الروح والجسد، فلا قرطاس بلا قلم، ولا قلم بلا قرطاس، كما أنهما نشأا معاً ومنذ أقدم القدم، ولقد أطلق عليهما اللوح المحفوظ إلا أن القرطاس خادم القلم وتابعه ورفيقه، فإذا أمسكت بالقلم كان القرطاس جاهزاً ليثبت الكلام عليه ويحفظه فيغدو صحيفة ضمن الصحف، وللعلم فإن السطور تحفظ لك ما لا تحفظه الصدور، وهي التي علَّمتنا وعلَّمت كل الأجيال إلى حيث نحن وصلنا، وإن تقييد جملة العلوم والمعارف في قرطاس بغاية صونها وحفظها.

إن كل غرض في الحياة قرطاس ويشبه به بكون الحاجات والأغراض صفحات ورسائل ترسل إلى قاضيها ليلبّيها، ولا يتحقق النصر العزيز إلا بالقرطاس والقلم الذي ينجب السيف ويكون رفيقهما، ومن هنا أسأل هل مازال للقرطاس هذه المكانة ؟! أم أصبح مُهاناً ملقى في المكتبات وعلى الأرصفة يباع بأبخس الثمن، أم أنه أصبح لسان حال الفقراء ولقمة عيشهم، وحكراً على المتملقين الذين يملؤون مكتباتهم فقط للتفاخر والتكبّر، وأنهم مالكوه بلا معرفة أم أنه حاجة معرفية يجب وينبغي على كل واحد منا اقتناؤه من أجل امتلاك دائرة المعارف.

إنه الصحائف البيضاء، وسطورها تحفظ التاريخ والأرض والسماء، تحفظ للإنسان كل فعله وإنجازه مع أخيه الإنسان، وما دوَّنه عن الجماد والنبات والحيوان وما أبدعه وما تصرَّف به وما كان عليه في كل مكان، وكلمة مصحف مأخوذة من الصحيفة والتي هي القرطاس، وأصل قرطاس (كرتا – دي) وكرّاس (قرا – دي) وقرطاس اليونانية تعني الورق، ومنذ عرف الإنسان الكتابة كتب على الطين والحجر والعظام، ثم تطور فكتب على المهارق والقباطي والجلود ، وكان للرقوق دور كبير في تطور الكتابة وبداية التدوين، كما تم استخدام البردي الذي صنعت منه القراطيس، وتأتي القراطيس بمعنى الغلاف أو الظرف أو ورق التغليف أو القمع الورقي، وهي تماثل كلمة خرطوش الذي هو مظروف الذخيرة، وهي كلمة عربية تحولت إلى الفرنسية (كرتوش) وإلى الانكليزية (كرتردج) وأساسها قرطوس، وقرطاس العربية الشامية والمغربية، كما أنها أصل كلمة خارطة (كرتا – دي) ومدينة قرطاج التي تتحدث الأسطورة عن بنائها من جلد الثور، وهو الجلد الذي كتب عليه الأقدمون، كما أنها مدينة القراطيس أي مدينة الكتب، إنه القرطاس قُدّم إلينا من نبتة الخوص التي تعيش في الماء ولها أوراق كخوص النخيل يسحب منه ليصبح ما يشبه الورق، وهو البردي الذي أسماه (جالينوس) القرطاس.

لقد أسهم توفر القرطاس إلى دفع حركة التأليف وتوثيق

المعلومة نظراً لخفته ورخص ثمنه، بدلاً من الرقّ وانتشر حتى وصل إلى أطراف الأرض، حتى بعد انتشار صناعة الورق وتحولها قراطيس وقرطاسية من أجل استمرار دورة الحياة العلمية، التي تتعلق مابين الإنسان والقلم والقرطاس، فهذا الثلاثي إنجابي: الأول يتفكر من خلال التأمل فيتعلم، والقلم يسجل ويدوّن، والقرطاس يحفظ، فما نحن فيه هو نتاج ذلك الثلاثي العلمي الأدبي من أقدم القدم وإلى يومنا هذا، يفنى الإنسان ويغادر، كما أنه قد يضيع القلم في متاهات الحياة ليبقى القرطاس حافظاً وجامعاً على مدى العصور، نتوارثه ونجدّده ونبحث فيه، لنرتقي ونرقّي ونصعد ونفهم ونتفاهم من خلال محتوياته ورموزه وتعاليمه المفيدة لحياتنا وحياة كل الأجيال.

الفــــرح

جملة الخلجات والانفعالات التي تظهر في الشكل الإنساني عبر البسمات والضحكات، كردٍ فعل على فعل جميل أو مفاجئ، أو انتظار لنتائج مفرحة كالانتصار والفوز والنجاح والوصول والشفاء، والمساعدات الخفية من إنسان لإنسان، والفرح طبع إنساني ولد معه ومنذ نشأته الأولى أفرحته الحياة بوجوده فيها وامتلاكه لمقومات فهمها لذلك سعى إليه الإنسان حصراً، وأوجد في أيامه الأعياد والعناق والقبل

للتعبير عن الفرح والوصول إليه، وللفرح أنواع فمنه الطبيعي النقي الصافي الذي لا خبث فيه وشكله ما ذكرته أولاً، والثاني خبيث ويحمل شكل نتائج الضغينة وأمنيات الشر للآخرين، وشكله الضحكات الصفراوية والشماتة وتمني حدوث المكروه للغير، وتكون صفات حاملها الحسد والغيرة وصانع للمكائد ونصب الأشراك.

الفرح حق للجميع، نحن نوجده ونحققه ونقبله ونتقبله، بكون أننا نصنعه ونصدّره ونستورده، ونعيشه ونتعامل معه، هو في داخلنا وداخل كل إنسان مهما كان غليظ القلب أو متجهم الطلعة، حركة بسيطة صادقة تضحكه فيفرح، وفعل جميل مهما كان صغيراً بريئاً يفرحنا، لأنه نتاج عفوية وانفعال كامن من جملة الانفعالات المؤسسة لشخصية الإنسان، فهو أي الفرح والحزن والحب والسعادة والكراهية والرغبة والتعجب، يشكّل في لحظةٍ حضوراً وردَّة فعل على الأفعال المنبعثة من الآخر، والفرح الفطري هو الانفعال الصادق الذي وُجِد في الإنسان منذ لحظات خَلْقه، وجبلت عليه شخصيته التي يتفوق فيها خيره على شره، فهو مرتبط أيضاً بعامل الخير ونتائجه التي تحمل الفرح على طول ومساحة فعله، وبما أنه طبيعة وانفعال طبيعي، فهو جميل مطلوب ومرغوب يدغدغ الوجدان وله شرعيته التي تصفه بأنه صفة من صفات الكمال.

إن تمتع الذات الخيّرة بالخير، والقدرة على فعله المرتبط

بالأوامر العقلية التي تحثُّ على فعل الخير بغاية تحريض الفرح لديه، يحدث الابتهاج الثنائي ما بين الفرح والمفرح، لتظهر الابتسامات في العيون وعلى الشفاه ويتحرك شعور الفرح فيسود الدائرة التي وجد فيها، إنه اختصاص الإنسان السوي متقبل الفرح اللائق ومعطيه لطالبه، هو هكذا نراه آثاراً وحركات تعبيرية تظهر على الوجوه والأجسام، ولكنها تختلف بالأحاسيس والمشاعر بين شخص وآخر، رجلاً كان أم أنثى، طفلاً أو شيخاً فكلٌّ له فرحه وكلٌّ له ما يفرحه مهما تنوعت واختلفت أسباب حضوره، فهو الفرح وسائله كثيرة وردود الفعل عليه أكثر، إنه نقيض الحزن وضده، وإن الأفراح غايتها إحضار الفرح بهدف الحصول على النضارة التي تخلق الحب وتجلب الانتباه.

يحل الفرح على الحزن حلول الدواء على الداء، ويأتي كالشبع في الطعام على الجائع، فلا لذة لبدن إلا بعد حزن وإذا ما تساوى الحزن والفرح وحدثت المقارنة، نجد أن الفرح أخطر من الحزن، لكون الحزن حذر، والفرح مفتوح، فإذا لم توجد له الضوابط والحدود أساء لحامله ومنتجه وساربه إلى تهلكة، فإذا وجد الفرح في شروط سلبية ومناخات غير صحيحة، كانت أضراره أكبر من إيجابيته، وقد يؤدي إلى الموت أو حدوث خلل عظيم في البنية الإنسانية، فالمثل القائل (طار من الفرح) ما هو إلا نتيجة حادثة بفعل الطيران إلى المجهول، وطار غادر من الوجود، لذلك أدعو

دائما إلى الفرح العقلاني الممسوك في الحركة الجسدية من حصول اللذة، والتمتع أولاً بمعرفة النتيجة المفرحة، وثانياً حدوث الإشباع الجسدي، كما أن فرح القلب وانشراح الصدر والانفعال الحسي والمعنوي يظهر الفرح بشكل نعمة نحتاج إليها كما نحتاج لأي شيء من أجل استمرار حياتنا، ومن أجل تواصلنا مع بعضنا بعضاً، اسعَ معي للفرح وأبعدِ الحزن ولنعمل على أن نُفرِح الآخرين، فالفرح نشاط ولذة ونشوة وقوة من قوى الإيمان.

الحـــزن

خشوع في القلب ودمع في العين وخلجات جسد هادئة، انفعالات لها علاقة بالروح لا بالجسد واشتدادها يؤدي إلى حالة من الهذيان، ويخلق الأمراض، وعلاجه بالصبر والسلوان، نعم إنه الحزن يأتي من انهيار الأحلام في الرأس، أو من بناء تبني عليه الكثير من الآمال، ومن فقدان أشياء تعِبتَ عليها كثيراً، أو تتعب في إنجازها وتُخطَفُ منك في غفلة لتستفيق فتجد أنها انهارت أو انتهت أو انتفت أو انتهيت.

إنه الإدمان في الحب وفجأة ينتفي، وطول اللقاء بعد انتظار وبسرعة يختفي، وهو صدى الصوت بعد أن ترحل وهو صورة الوجه بعد الفراق، إنه وحدتك بعد أن يتخلى عنك الأصدقاء، إنه صراخي ومناجاتي لك حين لا يصلك ندائي،

إنه البقايا المتناثرة من موجوداتي، إنه الفرح المتكسر كالزجاج في لحظات من حياتي، إنه شجن سكن فيه الألم، الحزن زحمة العمر وكل تفاصيلها وطقوسها، أسود لونه، مذاقه مر، لباسه أسود، سكنه القلب يتسلط على الأحلام والآمال والبناء فيشغلها ليتزاحم ويزاحم الحب .

لا أستطيع أن أجد في الحب خيانة وغدراً ولا في الإيمان كفراً ولا في الأمان عهراً، أبحث في سهري عنك، أحاول أن أراك تضيء شموع ظلمتي، لا أستطيع أن أحنَّ إليك وشوقي لك يحيطني ولا تكلمني، لا أستطيع أن أكتب ولا تقرأ كلماتي، لا أستطيع أن أرى الأحلام تتهاوى تتحول إلى سراب، لا أستطيع أن أجمع بقايا كل الحطام من الآمال والأعمال والأحلام، وأرسمها مرة ثانية في سماء غرفتي المسطحة وأنا على فراشي.

الحزن إن لم تتجاوزه تصبح حفيداً للبؤس، الذي هو جد الحزن، صحيح أن الحزن موجود في كل الحياة الإنسانية، وغير الإنسانية في الحيوان والنبات فيكفي أن تنظر لعين غزالة فقدت ابنها وترى الدمعة، فتعرف كمَّ الحزن الذي تحمله كما يكفي أن تنقل وردة لتعرف أنها تذبل حزناً على مكانها الأول، إلا أن تجلياته في حياتنا ترافقنا فهو مستمر ولا تستطيع لا أنت ولا أنا ولا هو، ولا أي أحد ذكراً كان أو أنثى، من قول أن الحزن ينتهي، أو أن هناك خاتمة للأحزان، وقول ذلك خطيئة فالأحزان مستمرة ومتلونة، وصورها

كثيرة ترافقنا من أعز أعزائنا إلى أعمالنا إلى أرواحنا ونفوسنا ومسيرة حياتنا المعاشة.
نعم من منا لم يحزن في حياته، فهو رفيق السعادة متابع لها لا يدعها تصل إلى ذروتها، بل في كثير من الأحيان يلفُّها بثوبه الأسود قبل وصولها إلى النهاية بقليل، أصابعه موجودة في كل مفاصل حياتنا، مع أبنائنا في أسرتنا مع الزوجة، وفي العمل وعبر كل سنين العمر، وأنا أكتب هذه الكلمات عنه تنتابني الابتسامة لتذكري مسلسل أحزان عمري التي مررتُ بها، فكم تراوحت ما بين الصغيرة والكبيرة والجلل، كم بكيت في طفولتي حزنا على أشياء صغيرة لم أنلها، وأثناء دراستي على بعض من فشل أو نجاح لم أستطع الحصول عليه، وكم وكم من محاولات فشل في أجزاء من عملي، وفقد عزيز وغالٍ على قلبي، وأنا أسير إلى الكهولة أنظر وأتذكر كيف أني أُحاول أن أنسى ما مررت به لكون النسيان نعمة الأحزان، فأجد أن الكثير منها نسيته بكونه أحزاناً طفولية لا قيمة لها بعد حدوث الوعي، وأنساني إياها الزمن، ولكنَّ هناك أحزاناً لا أستطيع ولا تستطيع ولا يستطيع أحد منا نسيانها إنما هي تهدأ وتسكن حنايا القلوب وزوايا في الصدور، فنبتسم لها ظاهراً ولكن فيها حركات الشجن تدمع العيون ولا تنهمر، وهنا قوة القدر التي يمنحنا إياها كي نستمر مرة ثانية، أقول: نعم فدواء الحزن الصبر والمخلصون المحبون لك، فالصبر قوة إلهية إن تمتعت به قويت وتقويت، فيمر

حزنك كما تمر الرياح العاتية، فإذا انحنيت لها تجاوزتك وإن وقفت في وجهها أخذتك معها وأنهكتك وأتعبتك، كلنا معنا أحزان، هو كذلك الحزن رفيق الإنسان، إنه امتحان دائم لقدراتنا وقوة نجاحنا، لنتعلم التعامل معه مع حفاظنا على ما يخصنا من الأحزان الحقيقية، وتجاوز ما نستطيع تجاوزه، لأن الحياة مستمرة حباً وألماً وأحزاناً، وتستمر، وكلنا لنا فيها صورة من صورها التي نمرُّ عليها جميعنا كي نكمل مسيرة الحياة.

الجهل

صفة تطلق علي بعض من الإنسان وتنسب إليه وتلتصق بـه فقط دون باقي الخلائق بكونه وحده أي الإنسان امتلك في العقل إمكانات التعلم وتقبل العلم ورفضه والتأمل والتفكر والسمع وتبادل الاستماع والنظر وتقابل النظرات ومنه وعليه يطلق على جنسه الإنساني صفة عالم ومتعلم وفاهم وفهيم وجاهل، من هذا ندخل ونقول: إن العلم نقيض الجهل بكون الجهل لا يعني فقط عدم التعلم وإنما عدم الرغبة في العلم ويرفض الفهم والتفهم والبقاء ضمن دائرة مغلقة بلا رغبة ولا مقدره على التواصل وفتح نوافذ للمعرفة، والجاهل مثل الجدار مع فارق أن الجدار صحيح غير عاقل وجاهل لكن له وظيفة الستر والمنع والحمل والإعاقة ويقبل أن تفتح

به نوافذ من أجل دخول النور الذي منه تعلم وترى، لكن الجاهل وبرغم أنه عاقل يبقى غير فاعل رافض للتطور ولا يدرك أهمية الجدار فلذلك هو يبنيه في داخله ويهدمه من أمامه.

الجهل لا يختص به غير المتعلم بل وبعض من المتعلمين الذين يتشددون في إثبات رأيهم ولو كانوا على خطأ وأولئك الذين لا يستمعون إلى النصائح ولا يقبلون الآخر في حوار، أولئك المتزمتون المتمترسون عند نقاط فهمهم والعلم يسير إلى الأمام، أولئك الجاحدون بالقيم والأخلاق وفهم فلسفة وجودهم.

إن العلم هو الذي يكشف الجهل ويصوره ويحلله ويوجد له أبواب الخروج منه فمن لم يتعلم وفهم الحياة ولكن حاول فهمها ربما يتمكن من التعلم أو له أسباب لعدم وصوله للعلم، ولكن مشكلة الجهل تكمن فيمن توفرت له الفرص ورفضها وأنا أنسب الجهل إلى هؤلاء، وأخطر أنواع الجهل هو أن يجهل أمراً ما وهو عارف عالم بجهله وأبسطه هو أن يجهل أمراً أو شيئاً وهو لا يعلم عنه شيئاً وبهذا يتحول إلى جاهل مضاعف وأن تصر على المعرفة وأنت غير عارف هو الجهل بذاته وأن تقول لا أعلم هو بحث عن العلم وهو المنطق وينم عن الفهم.

إذاً كيف نميز الجهل ؟ وهل هو الأمية ؟ أم هو عدم العلم بالشيء وعدم الرغبة في التعلم ؟ هل هو التشدد والتزمت

رغم التعلم والإصرار على الموقف حتى وإن كان سلبياً، بما أن الكمال غير موجود، وسعي الإنسان له دائم فهو في نقصان ومهما امتلك من العلم والمعرفة ينقصه الكثير فهذا النقص يعتبر لديه جهلٌ ولكن يدخل تحت اسم المجهول حتى يصبح معلوماً، الإنسان بطبعه عدو لما يجهل ويخاف بطبعه ما يجهل لذلك الإنسان فقط بحثي استكشافي بغاية العلم والتطور وإيجاد فهم نوعي لوجوده ويتمثل هذا النوع من الجهل في الغد والمستقبل والأبحاث وهذا هو الجهل العلمي ويكون أيضاً بمثابة الظلمة ومهمتك كإنسانٍ تبحث عن العلم أن تنيره.

إن علاقة الجهل بالإنسان التي تحوله إلى جاهل فيها الكثير من الصور التي إليه وتكتشفه بسرعة، وفلسفة وجود الإنسان البحث والعلم والتطور والتطوير، فإذا عدنا إلى الوراء ودرسناه نجد كيفية تطوره من المشاعية الأولى إلى الآن ومن العصر الحجري إلى عصر الفضاء ومن فهم تكوينه ومسؤوليته عن نفسه فقط إلى مسؤوليته الجماعية التي تتمثل في الأسرة والمجتمع والوطن والأمة، ومن كفره إلى إيمانه ومن رفضه للخطأ إلى محاولة عدم ارتكابه وإصلاحه ومن قبول النقد وسؤاله عن كيفية إنجاز الصح، اليوم الكثرة متعلمة أو فاهمه فأين يكمن الجهل في رأيكم وكم نسبة الجهل عند المتعلمين وما هو الفرق بين المتعلم العارف والمتعلم الجاهل أقول: إن الإنسان بمفرده جاهل حتى ولو

أوجد لنفسه الحمايات والكفايات، إنه يحتاج الآخر ليتبادل معه المعرفة والعلم وتبادل التعلم وتجاوز الجهل، الإنسان مرآة أخيه الإنسان وعلمه وجهله هو مقدار استطاعته على التبادل والتوافق والاحترام وبدون ذلك لا يستمر واقعياً في الحياة فيكبر جهله، إننا اليوم بحاجه لبعضنا البعض وللإطلاع من أجل أن نتطور وتقبل الأفكار وفهم الواجبات، واستيعاب فهم الحاجات والمقتضيات هو وحده الذي يقضي على الجهل ويجبر الجاهلين على التعلم.

التسامح

لغة عصرية بثوب تاريخي نما وترعرع مع تطور الفكر الإنساني وانسجامه، وآليات الفكر الروحي الذي حمل التهذيب لكل تصرفات الإنسان وضبطها ضمن أفعالٍ شكلها منطقي وحركاتها محسوبة عليه، من خلال ربط الإدراك والأفعال الإرادية واللاإرادية مع مبدأ الفعل ورد الفعل، فإذا اعتمدنا أن لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه في الاتجاه وعمّمناه، لم يعد لمنطق العدالة الحياتية المتجسدة في القانون والأخلاق الإنسانية أي حضور أو وجود، ولا للقواعد الدينية المرسومة في الكتب المقدسة رعاية وفهم لحكمها القائل: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب).

وغاية هذا إعلامنا بأن علينا أن ننظر إلى مسرح الحياة ونرى العبر ونعتبر بالأفعال، كي ننهض ونكون أكبر بفعلنا مما نحن عليه، إن اعترافنا بأننا بشر نمتلك الخطأ والخطيئة، ونميل إليه في اللا شعور ونفعله عند تطور الأنا، يدلنا على أنه طبيعة بشرية ملازمة لنا أينما حللنا وكيفما اتجهنا، بكوننا نتاج ضعف وبكوننا مجموعة ذنوب وأخطاء تحتاج إلى الغفران والمسامحة، لا بل نطلبها جهارة وخفية محاولين النظر إليها كثمرة عند ارتكابنا للخطيئة، ونفعل المستحيل كي نقطفها بل الكثير من الأحيان نستنجد بها، أو نسعى لإيجاد الوسطاء للحصول عليها.

إذاً التسامح والعفو مطلب إنساني يقترن مع الطلب من الإله ليسامحنا ويغفر لنا ويعفو عنا حين اللقاء الروحي، فكيف به بين الإنسان والإنسان الذي يطلبه حين القيام بممارسة أخطائه مادية أو معنوية أو مخالفة لا يوافق عليها الآخر أو المجموع، ويشذ بها عن القاعدة والعرف فيطلب المسامحة من أجل العودة أو الاعتراف بما فعل، وهنا ينشأ ويظهر التسامح كقضية ومعضلة فيها السهل الممتنع، تخضع لمبادئ فلسفة الجوهر الإنساني والمقدرة وتحفيزها على الاعتراف والطلب، فالتسامح والمسامحة جوهر إنساني رائع، فيه يحضر حلم تحقيقه عند ارتكاب الخطأ، وتخيل كمَّ المسامحة الذي نرجوه في تلك اللحظة.

إن التسامح شأن عظيم إذا استطاع الإنسان تقديمه في

لحظات المقدرة والقدرة على فعله، فهو سلوكية في الإنسان حاولت الديانات تعزيزها في النفس البشرية، وأكدت عليها النظم والقوانين الاجتماعية المادية واعتبرتها ضرورة حياتية من أجل استمرار الإنسان وحياة المجتمعات، وأبرزت ميزاتها وفوائدها ووضعت لها أيضاً الشروط والقواعد، بكون آثار التسامح تنعكس إيجاباً ضمن العلاقات الإنسانية وتطورها، معززة الأخلاق والقيم الحية، فتعزيز التسامح الديني والتسامح الاجتماعي الفردي والعام حين وقوع الخطأ غير المقصود، وعدم الانفعال والأخذ بردات الفعل مع القبول الثقافي لفهمه دون الالتزام بالأخذ به، يؤدي إلى اتساع دوائر المعرفة ويظهر أهميته كمطلب اجتماعي إلهي يؤدي إلى الاحترام وزيادته بين الأشخاص بما يمتلكون من أفكار وآراء، ويزيد في استقرار الأفراد والمجتمعات ويتغلب على التعصب والتمييز، كما أنه يرسّخ قيم التعايش والحوار فتظهر صور العقلانية والاحتكام إلى العقل، ويحدث التوافق الاجتماعي، ويتجلى الانفتاح من خلال احترام الحرية الإنسانية والتسامح مع هناتها وخطاياها، ونمتلك الشعور الإنساني لذلك التعلم وامتلاك الثقافة والنظر للغد، والبحث في الأوليات التي يمتلك العقل والقلب والصدر الكثير من مساحاتها، يؤدي إلى التهدئة مقابل الثوران، ويولّد الحوار العقلاني فيظهر التسامح على أنه طريق للمسير إلى الأمام والتطور، لا عقبة توقّف للإنسان.

وإذا خصَّك التسامح وامتلكت أن تسامح فسامح، فهذا لك أما فيما يخص الآخر فهو للآخر، وله أن يسامح ولكن ينبغي علينا أن نساعد على المسامحة، والمجتمع أيضاً يسامح بعد أن يغفر له ما أخطأ به، ويشجعه للعودة إلى الحياة الطبيعية، أما الحياة الطبيعة ولله ففي هذا الشأن تكون العبرة وتترك لأمد التهم والقصاص بحسب التعدي لذلك لنا علاقتنا الإنسانية وإيماننا بأن التسامح خاصية إنسانية، يجب أن نتمتع بها جميعنا، وأن نعمل عليها كي يزداد النجاح المجتمعي ونتحول إلى الجماعة لا أن نبقى في الأنا.

الألـــم

بما أن الإنسان مجموع ذري حي، أي أن كل ذرة حية في جسده ظاهراً وباطناً تنبض وتختلج وتنمو وترتعش فهي في الحالات الطبيعية سليمة، وإذا اختلفت شروطها النظامية تصبح مريضة يضطرب نبضها، وترتفع حرارتها وتعطي إشارات إلى العقل الآمر للجملة العصبية، بأن هناك خللاً ما قد حصل لتبدأ مشاعرك في الانتباه إلى مكان النبض المتزايد الذي يشعرك رويداً رويداً بالألم وتطوره.

الألم منبّه فطري غير طبيعي، يتحرك في الجسم ليدلّك على وجود حالة غير سوية، أو لينبّهك إلى الخطر الذي قد يتطور في جسمك، إنه ظاهرة بشرية شديدة التعلق

بخريطة الإنسان الجينية من الشكل إلى المضمون، لا تكاد الحياة تخلو منه، وإنه ليصيب كل كائن حي حتى إنه يقال: إن الأرض والسماء تتألم أحيانا عندما يتم التعدي غير المنطقي على بنائهما الطبيعي، وكذلك النباتات والحيوان لها آلامها وإذا دققنا عرفنا طرق تألّمها.

الألم قد يصيب الروح والنفس والجسد والعقل، وقد يكون عاطفياً ونفسياً وجسمانياً، ويأتي إما من خطأ حركي أو فعل تصوري خاطئ، أو نتاج ردة فعل عنيف، فعندما أتحدث عنه كظاهرة متداخلة جداً في بنائها مع بنائه أقول إن مجموعة ظروف وعدة عوامل تشترك في حضوره وإثارته، ويبدأ بالإحساس ويمر بعلاقة القبول والرفض أي الاستجابة وعدمها وعلى كافة الصعد الداخلية أو الخارجية التي تشترك وتشارك في إيجاده وعند وجوده يقول الفرد الإنسان: آه من الألم ويستنجد.

من منا لم يتألم ؟ من منا لم يعرف الألم ؟ إن الألم لا يراه إلا حاملوه أو المتعايشون معه، أو أولئك الطيبون الفطريون الذين يعيشون الحب ويرتبطون به، المتعلقون بالأرض والإنسان والطبيعة بكل مكوناتها، أولئك المستشعرون للأخطار المتفكرون المثقفون الروحانيون بلاغايات، غايتهم فقط الحفاظ على الحياة وأجناسها وأنواعها، المتبصرون الناظرون إلى دموع الضعفاء، وإلى عيون المرضى وإلى حشرجات الثكلى، وإلى أولئك الجائعين إلى الرضع الباحثين

في الأثداء عن قطرة حليب، إلى تلك العيون الهائمة تبحث عن حقها في الوجود، حين لا تعرف الألم اكتب عنه لتشعر به، وإن لم تشعر به ابحث عن الحب أو احلم، دعني أجبرك كي تخوض تجربة الألم، فإن لم تتألم لن تنهض ولن ترتقي، ولن تتطور ولن تفعل ولن تعمل، كما أن دفعي لك في هذا الاتجاه لا لتمرض أو تتمارض إنما من أجل أن تحس بأنك موجود، ومن أجل أن يهتم محيطك بك فتحس بقيمة أسرتك ومجتمعك وأصدقائك ووطنك وترى الخلل الذي قد لا تستطيع إصلاحه، فتتألم أكثر وعندها تعرف أن عقلك عاجز أمام عاطفة قلبك لتتلطف وتصبح أكثر إنسانية وأكثر فعلاً وتفاعلاً.

إن غايتي ليست تعريف الألم فلا أحد يستطيع تعريفه إلا الواقع فيه أو المتداخل معه، ولكن ضرورة إيجاد حالة تناقضٍ يخلق في العقل الحيرة والبحث عن طريقة التصدي لهذه الظاهرة، التي تتحول إلى حالة أكبر كثيراً من حالة تعريفه، وتدخلك إلى عالم الوصول والتواصل في الحياة الإنسانية، وامتلاك شعور أنك موجود فيها ليس بمفردك، وإنما ضمن جمع فيه لمع كثير يقودك للانتباه له، وإن إثارتي لهذه الجدلية المثيرة تحمل غايات الارتقاء بالإنسانية التي ينبغي علينا تطويرها، بكوننا جنس إنسان مسؤول عن مجمل الظاهرة الحياتية التي تنضوي تحت لوائها مسؤولية الحفاظ على الحياة الكونية الكاملة.

بالطبع أنا لا أكتب عن الألم الجسدي الذي لا أتمنى أن يصيب أي أحد، ومهما كان نوعه خارجياً أو داخلياً وإنما أتكلم عن الألم الروحي والاجتماعي، الذي يظهر في كثير من الأحيان على أنه بديهي أو بديهية حياتية نراها ونعلّق عليها، ولكن السؤال هل نتفاعل معها، وهل نعمل على رفعها عن الآخر والآخرين سواء أكان إنساناً أم حيواناً أم نباتاً وهل نمتلك الجرأة للبوح بالآلام العامة، أو أننا فقط نتحدث عن آلامنا الفردية ذات الأنا العالية، ونطلب منها المساعدة فقط، إنك وإنكم وإني إن لم نشعر ونستشعر آلام الآخرين لن نكون بشراً إنساناً، وسنبقى في حيرة الزمان والمكان والتوقف والتخلف، طالما أننا لم نبحث في مداواتها، كما أن البقاء والإبقاء في الحيرة ونظراتها ينشئ الارتباك، ويحوّل الحيرة إلى بلاهة وغباء وتخلفٍ وتبعية، كما أنه يؤدي إلى خمول الذهن وتوقّف نشاطه.

إن البحث في الألم والآلام يوجد الدواء ويبعد الداء إن لم يشفِه ويعالجه ويطور الذهنية ويحدث الحب والألق الاجتماعي، فما نراه اليوم هو نتاج فقدان الإحساس بالآخرين، والتحول إلى الفردية التي تقتل صاحبها في النهاية فالألم مستمر ويستمر عبر كل أشكاله، ويجب أن يستمر معه البحث عن علاجه وتسكينه لنقاوم الألم ونساعد في إيقافه، ومن ثم علاجه وعلى كافة الصعد أينما وجد.

حاول دائماً وابداً أن تتحدث وتكتب عن ألمك ليأتيك الكثير عن آلام الآخرين، انظر وأبصِر وعندما تتوقف عن رؤية وفعل كل ذلك انتبه فإنك انتهيت.

الإنسانية

هي سمة اختص بها البشر ليتحول إلى إنسان، ويمتاز عند امتلاكها عن باقي الموجودات والمخلوقات: الجماد والحيوان والنبات والبشر، والانتقال من الشكل المشاعي الفوضوي إلى المدني لم يكن ليحصل لولا التطور البشري، الذي أدى إلى تحويله من هيامي لا يمتلك الصفات إلى عقلي بحثي في شكله وعمقه وتطوره بامتلاكه للعقل، والذي أوجد له مساحات كبيرة للتجوال فيه فوجد إنسانيته التي اختص بها حتى عن البشر فليس كل البشر إنساناً، والإنسان هو ذاك المتعاكس مع البشر، والمقاوم لكل آليات الانفلات والمؤطر لجملة أسباب وجوده، وتفاعله مع الآخر الإنسان بالاحترام وتقديم العون بكل أشكاله ما استطاع، ومن هنا نقول: إنه إنساني يمتلك الإنسانية.

والإنسانية تتكون من مجموعة نظم أخلاقية موجودة في العقل البشري، تعمل على صيانته وصونه وتجهد لإبعاده عن منظور الشر، الذي يعمل حثيثاً على اختراقها بجذبه لقنوات التسلط والعنف، وإيجاد الرعب الذي يرعبه، فيعمل

عليه دائماً، وبما أن الإنسان اختصاص في الأشياء، والبشر كل الأشياء، فالعلوم الإنسانية هي قاعدة وأساس أي تطور، وأي جملة بشرية لا تمتلك الإنسانية وعلومها، لا يمكن لها أن تتطور وتبقى في دوائر البحث.

إن امتلاك اللا عنف واللا خطيئة، وبشكل خاص أمام الآخر أو بحقّه، والتدرب على الصدق والأمانة والتعفف المنطقي وأداء كل ذلك، يبعد الشكل البشري ويظهر الإنسان الذي يتحدث عنه الآخر البشري في اللا شعور بأنه إنساني.

فالاختلاف والخلاف نزعة بشرية، بينما الإنسانية وحدة كاملة لا تتجزأ، وقيَمها الأساسية قِيَم ثابتة متماثلة وإذا كان لا بد من الاختلاف في الأشياء فإن حدوثه يتم على مبدأ قبول الآخر عند امتلاكه إنسانية التسامح والعدالة.

إنها الإحساس الحقيقي في الموجود المتلاصق والمحيط القريب والبعيد، هذا الإحساس الذي يبحث في ضرورة التأني من خلال التبحر في الشيء والصبر عليه وعدم العجلة، كي يحدث الارتقاء والانتقال من شكل الرعاع إلى شكل الإنسان المؤمن بالعفو عند المقدرة، والثبات عند الشدائد وتطبيق العدالة الاجتماعية والنظر من الوسط إلى الأشياء، لكون الوسط موجوداً بين العينين والأذنين أي أنها لسان المتحدث وعقل الفاعل، فإذا كان حاملها كذلك ملك طهارة الروح التي تشكّل الأساس للإنسان قبل طهارة الجسد، وتولّد الثقة بالنفس والرضى ضمن الموجود إلى أن يسمح الوجود.

تظهر الإنسانية عند تصالح الإنسان مع ذاته، أي بحدوث التوحد بين المظهر والجوهر، لتحوّله إلى كائن شفاف فتحدث له الهالة التي تجعل من الآخر الناظر إليه بأنه موجود فعلاً، مالك لجملة الأخلاق الحاملة لصورة العقلانية، المتجسدة في صورة الصحة، المتألقة في العقل الواعي الذي يلتقي مع الطبيعة النقية الصافية،يتبادل معها صورة التهذيب ليتجلى رسماً مدنياً يصنع المدنية المصبوغة بصبغة الإنسانية.

إنها فعل الحياة الجميل الذي لا يعتدي بعضه على بعضه الآخر، كما الشجرة تسمح لشجرة أخرى أن تنمو وتظهر بجانبها وكما الطير يطير رفوفاً كي لا يضيع وكما السمك يسبح أسراباً، وكما الجبال تنهض وتشمخ، وكما الهضاب تتواضع أمامها، كما الوديان تجمع الماء القادم من الأعالي وتسمح لها أن تنجز الجداول والأنهار، وكما السهول تنبت الحبوب عطاءً لاستمرار الحياة، هي كذلك تحافظ على جنسنا البشري بالرغم من عشوائيته وعبثيته، فلولاها لما كنا والابتعاد عنها يعني دخولنا في عوالم المجهول الذي ينجب الخوف والجبن والقتل العبثي.

الإنسانية لا تعرف الجبن ولا الخنوع لكونها تمتلك حقيقة الشيء، تتوحد معه فتظهر سببية وجوده كإنسان في صورته الإنسانية المطلوبة منه، والتي لا تفعل الخطأ وتؤمن بمبدأ العمل الصحيح الساعي لكمال الوجود بالإضافة إليه للأسباب الموجود، هي الإنسانية كذلك لا أنسنة ولا بشر،

فعل وجود وتصالح ومحبة للموجود والتفاعل مع المحيط المرئي واللا مرئي.

التاريخ

مع انتهاء كل يوم، وفي اللحظات الأخيرة من انتهائه تصبح أحداثه تاريخاً، لنستقبل مع إشراقة الصباح يوماً جديداً يصبح فيه أمسه في سجل ماض إلى الوراء، يتقادم يتعتق منه الجيد الجميل، ويعزز سطوره فيكون لدينا تاريخ جيد وتاريخ رديء نستعيده ونستفيد منه، نستند إليه كجبل يعصمنا من العواصف إن أردنا أن نتعلم ونوسع دائرة معرفتنا، فلا نستطيع أن ننطلق إلى الأمام بغيره، وهو الماضي القريب والمتوسط والبعيد نتذاكره في حاضرنا كي ننطلق إلى المستقبل، وهو لغة الماضي محفوظة في الأوابد أو مخزّنة في الذاكرة الإنسانية، تتوارثها الأجيال بالانتقال وتسلّمها لبعضها، والماضي زمان وما حواه أو ما مرّ به يخبرنا في حاضرنا عمّا مضى منه، بكونه زماناً كبيراً فيه الماضي والحاضر والمستقبل، والماضي مضى لأقول إنه جزء من الزمن الكبير مظلم، كلما احتجت إليه أضأته لترى فيه ما يفيدك ويفيد مجتمعك والإنسانية.

إن التاريخ مهم وخطير ينصف ولا يرحم، وأعتقد أن فيه الحقيقة ومن الممكن أن نطلق عليه الحقيقة، بكونه

يظهرها ولو بعد حين، وأنا أشبّهه بالبحر يحفظ الأشياء بكونه مالح لحين حاجتها، فهو تسجيل ما يمضي من الوقت بكل تداعياته وألقه، والذي هو أداة من أدوات الزمن بكونه لحظياً وأحداثه لحظة، فاللحظة هي الوقت لذلك أتوجه لأقول: إن تسجيل الحدث الوقتي وتدوينه يومياً ليكون سجلاً يحمل للغد ما جرى ويجري وحدث فيه الكثير من العبر بكونه التاريخ يعيد نفسه وأحداثه تتكرر، لنقول: إن هذا حدث في الماضي ومشابه له تماماً، لقد انتشر المدونون اليوميون في ما مضى بين الناس، وفي كل المدن والبلدان كثيراً ما يسجلون ويدونون كل ما يجري لحظة بلحظة، يجلسون في الأسواق والحارات ويتابعون التجمعات والبيع والشراء، وما يجري من حوارات بين الناس، حتى إنهم كادوا يسجلون الهمسات، لذلك نجد استمرار الأمثال والحكم والقصص والآثار وعظمتها التي تخبرنا عن إنجازات أولئك الناس الموغلين في القدم، نعم بدأ التاريخ من ذلك الزمن السحيق ومع نشأة آدم وحواء وأبنائهم، وحادثة الانفجار العظيم ضمن الإرادة الإلهية في الكتب المقدسة والبحث العلمي وتراكماته واستمراره، وحتى الآن في البحث عن الحقيقة عبر البقايا الموجودة في الجغرافية المهمة والحافظة لذلك التاريخ البعيد، والتي تقدّم لنا في كل يوم آفاقاً جديدة في الإخبار عن كشف جديد يدعونا للتعمق أكثر في هذا التاريخ الذي نعيشه، فنندفع أكثر لنوغل أكثر في القِدم،

ولنكتشف المزيد من تاريخ وجودنا وأسبابه.
وعندما نتحدث عن التاريخ علينا أن نعلم أنه ليس فقط يخبرنا عن النشأة والاستمرار والتصور الذي مر به الإنسان والمحيط فقط، بل تاريخ العلاقات الإنسانية الثقافية منها والاقتصادية، وكيف كان لهم التصور عن المستقبل، وهل ملكوا الخيال ليتخيلونا بما نحن عليه الآن، وهل كانوا يحلمون كما نحلم، وهل امتلكوا السياسة والعسكرة وأدوات القتل والتدمير، وهل كان لديهم تاريخ للأفكار المستقبلية أودعوها كي نصل إليها ونحققها كما ينبغي علينا أن نفعل، فنترك للأجيال القادمة أفكاراً ونكوّن لهم تاريخهم.
إن التدوين اللحظي اليومي وضرورة وصف ما يجري بدقة وأمانة بأن يسجل زمن الحدث بالساعة واليوم والشهر والسنة، والصدق في تدوين الحادثة أو الأمر أو الخبر يعطي للأجيال القادمة كثيراً من الدقة في تطوير الحياة والحفاظ عليها.
سنصبح كلّنا في ذمة التاريخ، وسنمضي مغادرين ليُكتب على شواهدنا، أننا كنا في هذه الحياة وحين يقرأ الباحث على الشاهدة اسمنا إما أن يمضي للبحث عما تركنا له ليبحث، وإما أن يقول: لايهم فلم يفعل لهذه الحياة شيئاً، ولنعلم أن التاريخ حياة، فكلما كانت مسافة الحياة التي نعيشها ونمضيها فيها فاعلة ومؤثرة يكون لنا وجود مستقبلي، يعطيها الحياة اللامادية من خلال قراءة السيرة لمسيرة حياتنا، والتي

تدخلنا إلى التاريخ وتدوننا فيه.

إن التاريخ الحقيقي هو في الأيام التي تمضي من حياتنا المعاشة، لنجتهد ونعمل بصدق وإخلاص لها كي ندخل التاريخ من أوسع أبوابه ويسجلنا فيه، فهو حقيقة الحقائق، ينصف من يعمل لها بصدق ومن فجوتها يكشفه ويرفع الغطاء عنه، معرّياً إياه ومهما طال زمن إخفائه لا بد أن يظهر الحقيقة فهو الحقيقة وليس غيرها.

الحقيقـــــة

كلما اقتربت منها أخافتك، بكونها تسير عارية متجردة عن كل شيء، فتراها كما هي، وبرغم حاجتك إليها والمجموع البشري ينادي بالوصول إليها، ويسعى جاهداً بحركة وفعل دؤوبين وراءها واللحاق بها بغاية امتلاكها، على الرغم من وجودها أمام عينيه لا يفصلها عنه سوى شيء كزجاج رقيق وشفاف، لكنه لا يطالها وفي لحظات الاقتراب منها ومحاولة مسكها، تخيفه فيبعد عنها ليبدأ رحلة البحث من جديد.

فمن وصل إليها برأيكم ومَلَكها ؟ هل الرسل والأنبياء والأولياء والعلماء والعارفون والواصلون والاتقياء والشرفاء هم أصحابها، وهل هم وصلوا إليها أم أنهم وصلوا للحق من خلالها، وتجاوزوها، وهل هي نسبة تتناسب مع الفعل وردّه، أم كلية نرى منها ما نريد أن نرى وندع الباقي للحظات

احتياجها.

وإذا امتلكنا قبضة منها تعادل نسبة من الكون الكلي، أي بمعنى جزء يتحقق بعد الاجتهاد والبحث والتعمق والتأمل يعادل جزئيتنا الكونية، فنعتقد أننا كملنا ونحن ندري أو لا ندري بكامل محيطنا، فإذا نظرت أين أنت على هذه الكرة تجد أنك لا تستطيع الاحاطة بها، وكذلك هي الحقيقة، ويجب أن نعلم وتعلم معي أن الحقيقة كلية هي غير حقيقة الشيء وهما يخضعان لمشيئة الحق، فحقيقة أن الشمس تشرق في كل صباح هي حقيقة الشيء الذي تنتظره متحققاً ضمن الزمن المرسوم له، كما هي حقيقة القمر ظهوره ضمن نظرية الليل وتحوله في أشكال والاكتمال في منتصف شهره وعودته إلى بدئه. كما حقيقة الثنائيات وظهور النتائج من خلالها كنظرية اتحاد الذكر والأنثى تكون حقيقة الإنجاب، وجمع الواحد إلى الواحد رياضياً النتيجة تكون اثنين، وهي حقيقة الجمع وهكذا أما الحقيقة فهي جوهره وماهيته ومما تتركب مكوناتها أي جوهر حقيقة الشيء (المادة وانتظامها) تكون الحقيقة.

السؤال الآن الذي ينبغي على كل إنسان أن يسأله: هل أريد فهم حقيقة ما أم أريد الحقيقة، هذا أولاً وثانياً هل هي مفهوم كلي أم جزئي أم مرجع أعود إليه كلما اقتضت الحاجة، فأفهم منه ما أريد وما يجب عليَّ فهمه من أجل التفاعل مع الحياة وروحها، ومعرفة أن الحقيقة ثابتة أم متحولة، وما

هي علاقتها بالثابت المادي والمتحول الروحي، وأيضاً النسبي والكلي، والتداخل بين الصورة والذات، أي الشكل والمضمون، وأين هي تسكن وكيف ينظر إليها والحاجة المرادة منها، وهل هي كمية كبيرة نغترف منها، أم أنها راسخة باقية شاهقة كشوامخ الجبال ومياه البحار التي لا تنضب، أم هي موجية متحركة تجوب الحياة مع الرياح.

إن الإجابات كثيرة ومنتشرة بحكم الوجود الإنساني، وهي تغني كثيراً نهمنا وشغفنا لمعرفة كل شيء عنها، أو لونٍ من ألوانها أو طيفٍ من أطيافها، وربما هي الذات في الفكر كما النفس في الجسد، وربما تكون الإيمان بالشيء المصدق في العقل المدرك للشيء من خلال صوره المتجسدة في الوجود، فتصنع معه وحدة الوجود في البعد النهائي بكوننا متعددي الأبعاد.

وإن الأخذ بالعقل على أنه مبدع ومنجز في آن لجملة الحقيقة المستمدة من حقيقة الشيء، وتحوله إلى مصدر يطالها في فضائها، يعود إليها ويتفاعل معها بعمق معمّقاً نظرية الوجود من الموجود، وحقيقة الحقيقة فيها وبما انها جزء من الكامل الحق في المحيط المطلق، انقسمت إلى قسمين: حقيقة الشيء ظاهره، والحقيقة جوهره تلبس ثوب الحق فتعيده إلى مصدره ونطلق عليه حقيقة الحقائق.

إن الاقتناع لا الاعتقاد بأن العقل الذي تطور كثيراً وملك الفكر والفكرة، وتحول من هيامي إلى عاقل وفهم الذات وما

تعنيه وحوّلها إلى ذات عاقلة تتفاعل فيه، فأخذت صفة المعاونة بعد أن ارتاحت من الشغب المعاش ضمن الجسد أي الاضطرابات في عملية تجميع المعلومات، لتصل إلى الفكر وتستقر فيه فتكون بذلك قد تحولت إلى حقيقة من خلال وجودها ليعمل الفكر من جديد على إيجاد الحقيقة، وهذا هو الفرق والاختلاف الذي ننوه عنه أثناء بحثنا عن الحقيقة.

ويجب أن نؤمن بأن العقل هو صانع الحقيقة من خلال خياله الواسع الذي وسع الكون فيه، وإبداعه للقوانين الحافظة له على شكل إحقاق الحق، والغاية في ذلك الوصول للحقيقة، وهذا لا يصل إليه الإنسان إلا بعد إدراكه لحقيقته، ونعني بذلك الوصول من خلاله إلى أي حقيقة، فمثلاً وجوده وأسباب وجوده وغاياته، ليبدأ صناعة الحقيقة ضمن مظلة الحق المحيطة والحافظة لهذا الوجود الذي لا يدرك إلا من خلال الموجود الحقيقي، والإيمان بحقيقة الفكرة هو الذي يحوّلها إلى الحقيقة المتداولة أي المحققة، إضافة على الموجود فيزدهر الوجود بحقيقته الفاعلة والتي هي الإنسان، فتكبر الحقيقة ويعود لينظر في أمرها علّه يفهم ماذا تحتاج وكيفية الوصول إليها.

سؤال آخر بعد كل الذي استعرضناه: هل وصل العقل لمرحلة فهم الحقيقة وإدراكها، بعد الاتساع الهائل الذي تحقق له عبر مسيره الطويل من الموغل في القدم إلى القادم الآتي،

عبر الحاضر المتطور إلى درجة الإذهال وهل نستطيع بإدراكنا للحقيقة إبعاد الخطأ، أي نطلق عليها بأنها نظرية الكمال، أم أن الحقيقة كما بدأنا مجردة من كل شيء ففيها الخطأ وفيها الصح .

ما هي الحقيقة : أهي وهم أم أنها رأي، أم أنها وحدة مطلقة تعتمد على البرهان الذي منه تستمد قوتها ومشروعيتها، أهي فلسفة في التكوين الإنساني، أي أنها جوهر الإنسان الذي لا يمكن الوصول إليه بالرغم من كمّ التطور العلمي الحاصل والهائل، وأنه أي الإنسان لم يستطع قياسها.أم أنها هي وحدها التي تملك كل الأبعاد ولم نستطع حتى الآن إلا فهم القليل من أبعادها، مثل الزمن البعد الرابع والأول والثاني والثالث والذي هو الشكل الثابت أو المتحرك، ونطلق عليه ثلاثي الأبعاد، وهل الأبعاد المخفية التي نحاول أن نخترقها دون أن نلتف إلى الوراء أو أن نثقب الأرض أو نثقب السماء لنرى ما خلفها وما بعدها.

أنا أعتقد بأننا أنا وأنت حقيقة الوجود، ولكننا نسبته فالوجود الكلي هو الحقيقة وصاحبها هو صاحب الحق ومالكه، تعود إليه كل النسب لتعمل عنده في المطلق، بكونه المطلق الكلي الحق، ونحن نسعى إليها من أجل الوصول له وهذا لا يتم إلا بإنجاز حقائق نقدمها لعالم الحقيقة، وبذلك نكون قد بدأنا في فهمها وربما مشاهدتها نسبياً.

الخير والشر

فطري جاهل يكتسب قوته وتحمله من المحيط المعاش.
الخير فعل عاقل متزن يؤديه الإنسان حسب ما يمتلك من الامكانات المتجسدة أوّلاً في أسباب وجوده كإنسان يدير الحركة الكونية في الأرض والسماء بالعقل وأدواته، ويفرز الصواب من الخطأ وينبه بعضه إلى مكامن الخطر، ويبعد الإساءة عنه وعن غيره ويسعد قدر استطاعته الآخر مادياً ومعنوياً، إنه الحب للحياة وكل مكوناتها، يتفاعل معها من أجل زيادتها وزيادة الخير فيها، وعلاقة الخير بالعقل علاقة تجانس وانسياب طبيعي، فلا ترهقه بالتفكير والانحصار بكونها فعلاً لا إرادياً يحمل الإنسان مثل الطبع تماماً، وقد صنف الخير على أنه طبع إنساني يمنح شخصية محببة تضاف إلى جملة الطباع المكونة للعقل والفكر الإنساني فإما أن تحوله إلى إنسان، وإما أن يبقى بشراً، وزيادة فعل الخير يحيط الإنسان بهالة وحضور ووقار، وبكونه فعلاً لا يحتاج لتفكير، ويكون على شكل الاندفاعة العفوية كأن ترى مسنّاً يحتاج إلى المساعدة وفي اللاشعور تلهف له وتأخذ بيده، أو طفلاً تائهاً فترشده، أو محتاجاً وأنت قادر على مساعدته

فأعطيته ليعود عليك ثناءً محبباً يريح الضمير والعقل، ويدخل عليك البشاشة والابتسامة، ويخف وزنك الجسدي فترى نفسك وكأنك ريشة تطير وترتفع عن الأرض مستمتعاً بالنسيم، ويصيبك الرضى عن نفسك بشعور أن الآخرين راضون عنك، هو هكذا فعل لا يحتاج إلى تفكّر بل يحتاج إلى إحساس يرتبط بالنظر والسمع واللمس والشم والتذوق والمحاكمة السريعة الناتجة عن كل تلك الحواس، تندفع فجأة لتشكّل الفعل الإنساني المساعد خيراً.

أما الشر فهو فعل العاقل مضافاً إليه الغيرة، غير العاقلة والحسد والانتقام، وحب الظهور بدون اجتهاد وحب التملك بدون عمل، متمتعاً بآليات استلاب الحقوق، مستخدماً كل الوسائط المتاحة وغير المتاحة مجيّراً القانون لنفسه ولذاته، باحثاً عن ثغرات التهرب والتسلط فلا رحمة لديه ولا إنسانية، وهو في شكله جبان يعيش في داخل الإنسان ظلاماً مظلماً، مع الخير في حالة صراع دائم بكون الخير نوراً منعكساً على الحركة والمسير يضيء الوجه ويسعد النفس كما يسعد الآخرين، فان لم تحبس الشر وتسجنه وتستلم زمام أموره، انفلت وأسقط منك المثاليات والعقائد والنزعة الإنسانية، وأفرغ مضمون كل ذلك ليظهر فقط شكلاً يستخدم صورها من أجل الوصول إلى الأهداف اللاشرعية واللا منطقية، فالشرعي والعاقل إنساني منطقي أخلاقي والشر عكس كل ذلك.

إن الخير فعل لا إرادي وهو غير واع، يتحول بالتطور إلى واع من خلال فهمه لجملة العلاقات والعقائد والأخلاق والكون وأسباب وجوده، أما الشر فهو فعل إرادي واع وكسبي يطور نفسه من خلال البنية الشريرة التي تحيط به، وقد يظهر بمظهر الخير ليكون صورته ولكن سرعان ما ينكشف وإن طال.

إنه أذكى من الخير بكونه يحتاج إلى التخطيط، الخير لا يحتاج إلى ذلك، فإذا أردت ان تمنح إنساناً مساعدة يكفي أن تمد يدك إلى جيبك وتعطيه، أو تمد يدك إليه لتمنع سقوطه، وإذا وجدت بابه مفتوحاً تغلقه، أما في الشر فكم تحتاج إلى التخطيط لتخرج من جيبه مالاً، أو لإيذائه، أو لفتح باب كم تحتاج من أدوات خلع وكسر وربما قتل من أجل الحصول على شيء لا يخصّك، لنعلم أن القفل صنعه الخيّرون للخيّرين، لا للأشرار لأن الشر يعرف أن هناك قفلاً فيخطط من أجل خلعه وكسره من أجل الحصول على ما يريد.

الذاكـــرة

تعيش أبداً في عقلنا الباطن كوحدة استقبال واستيعاب، تسجّل الحدث اليومي وفعلنا وأفعالنا، ووصلنا واتصالنا مع أنفسنا ومحيطنا، فهي أداة إلكترونية مسؤولة عن تسجيل

وتخزين وإعادة كامل المعلومات في لحظة حدوثها وحين طلبها، إنها مجموع المسيرة الحياتية المكتسبة من النشاط الإنساني والمسموعة عن الماضي القريب والبعيد، وتشمل الحقائق والخيال والإبداع، وهي ملكة من أهم الملكات التي اتصف بها الإنسان وهي حفظ المعلومة ومعالجتها وتخزينها، كما أنها حركة الروح ومحرضها على الحياة، فلا حياة بلا ذاكرة ولا حياة بلا روح.

إذا أردنا تصور حياة الإنسان بلا ذاكرة فكيف تكون حياته، وهل يمكنه العيش بدون هذه المخزّنة، والمعالجة لمنظومة المعلومات المعتمدة من الجسد الإنساني، الظاهر عبر حواسه الناقلة بسرعة تعادل سرعة الضوء إلى المخزن ذي الجداول والرفوف وملايين العناصر التي تقوم بعمليات الفرز السريع، فالذي يحتاج إلى استجابة سريعة تعود لتعطيه الأمر، والذي يجب برمجته وإعطاء نتائج فيه تعالجه، والذي تبقيه تحت اسم الخبرة ليتراكم ويصبح الإنسان من خلاله خبيراً، والذي يحتاج لفهم تنشئ أسئلة لفهمه ويصبح الإنسان إن أراد أن يفهم من خلاله فهيماً، والذي يحتاج إلى بقاء وترتيب ليطلبه في باقي الزمن فيصبح لهذا الإنسان تاريخ موغل في البعد الماضي، تعيده بعد استجماع لكل المعلومات في البحث والإبداع والترتيب، فهي مرتّبة أي الذاكرة، فمنها المستقبل بعالميه الآخر والافتراضي، ومنها السريع الحاضر الحالي، ومنها الماضي القريب ومنها الماضي

البعيد.

هذا الإنسان ذو العقل البشري، ماذا يفعل لو لم يمتلك الذاكرة؟ إنه أمام كون هائل عظيم وموجودات أعظم وأكبر وأشمل منه، فالمشاهد اللحظية واليومية التي تجري معه وحوله، تحتاج إلى تسجيل وبرمجة وذاكرة كيف كنا سنعيش بدون ذاكرة، هل نستطيع أن نتذكر بعضنا، وهل نستطيع التعلم والعلم والتداول والتحادث، هل كنا نستطيع الحديث والتكلم.

إن فهم الاهتمام بالذاكرة وتنميتها والاهتمام بها من أجل الحضور الدائم في الحياة الكونية ضرورة ماسّة، ولا يتم ذلك إلا من خلال فهم الذات والتأمل فيها، ومن ثم التفاعل الإيجابي مع المحيط والتعرف عليه، لانتقاء المعلومة الجيدة التي تبعدك عن التشتت، والتركيز لزيادة قوتها وتنشيطها وتدريبها بتدارس معلوماتها كلما سنحت لك ظروف استذكارها، لتؤثر إيجاباً في ذاتك ذلك التأثير الإيجابي، فتعرف قيمة وجودك من خلال معرفتك لقيمتها، وتربط الأشياء والأحداث والمعلومات مع بعضها في ترتيب وتهذيب مكتبي أو كتابي، كلما أردت أن تقرأه أو تتصفحه تجده تسلسلياً، وتنظر إليه على شكل خريطة ذهنيه رائعة الجمال، تزيد في جمالها من خلال حذف التالف منها، وتضيف إليها الجديد فتكون قابلاً للتجدد كما تتجدد الحياة، فضرورة المتابعة العلمية والاجتماعية والثقافية،

والاحتكاك الإيجابي مع المحيط، يعطي الحيوية لذاكرتك فتتطور وتنمو وتمتلك ذاكرة رائعة.

ذاكرتنا حياتنا وتطورنا وحضورنا، فالاهتمام بها يدعونا للتركيز والتطور والتأمل والتخيل ودقة الملاحظة، فالعقل الإنساني عقل حاسوبي ذاكرته تتسع للكون، وتطويرها يعني تطويراً للقدرة الإنسانية التي تعين على إنشاء المستقبل، الذي بدونه أيضاً لا حياة لنا، فلا يمكن للإنسان أن يعيش بلا مستقبل، والمعادلة التي أقول بها أنك الآن في المنتصف بين زمنين، وأنت زمن أي أنك أنت وأنا وهو أزمان الذاكرة، وبمعنى أدق الإنسان ذاكرة الماضي والمستقبل، يستقبل ويعطي مما مضى وإلى الحاضر ومنه إلى المستقبل، إننا نحتاج إلى ذاكرتنا التي تدعونا لتنظيمها من خلال تنظيم وقتها، كي نتطور وكي نستذكر ونتذكر بأن الإنسانية ذاكرة، والعلم ذاكرة والتطور ذاكرة والتوتر والقلق والأحلام والاستيعاب والضعف والقوة والنجاح والفشل والتلاشي والانكماش ذاكرة الإخلاص والانتماء والوجدان والوفاء ذاكرة، الثقة بالنفس والانتصار والسمو والارتقاء ذاكرة.

أنت ذاكرة حية فعالة ومنفعلة في هذه الحياة، فأنت إنسان تسجّل ذاكرتك تاريخك وإيجادك وحضورك لتنتقل منك إلى الآخر الإنسان، فيبقى الإنسان على وجه الأرض وفي السماء ذاكرة.

الزائد والناقص

الزائد مضاف إليه والناقص غير كامل، يحتاج للمزيد كي يصل إلى حدّه الطبيعي، إنهما متشابهان في المعادلة فكل ما زاد عن حده نقص، وكل ما نقص احتاج للزيادة، فنظرية التعادل تؤدي إلى نشوء القاعدة الصحيحة الطبيعية، التي تتوازن فيها الماديات والروحانيات، وأي خروج عن ذلك زيادة أو نقصاناً يظهر الشيء وكأنه في حالة عدم الاتزان، وأنه شذّ عن القاعدة، وضرورة إزالة المضاف وإكمال النقص ضرورة العودة إلى المنطقية الطبيعية التي يشار إليها بالبنان.

إننا بنظرة إلى الحياة الطبيعية نجد التوازن الحقيقي والقدرة الهائلة لهذه الحياة على التعادل، وعلاقة الحيوان بالنبات وعلاقة النبات بالجماد، وعلاقة الأرض بالسماء، إلا الإنسان لم يستطع حتى الآن إدراك هذا التوازن، وقراءة ما يشاهده من معطيات رغم امتلاكه الكثير الكثير من العلم ووسائله، لكنه يقف عاجزاً أمام نفسه، ويبقى بحثه دائماً لإيجاد كل أنواع الفهم والتحليل والتخصص لكامل الموجودات، وينسى شخصه الذي يدعوه في الأساس لينطلق منه، بكونه إن توازن توازنت الحياة جملة وتفصيلاً، ووصل إلى فهم قواعدها وعلاقة الزائد والناقص.

لقد غدا الإنسان كثيراً بمعنى أنه أصبح زائداً، والطبيعة ومكوناتها تنقص، ورويداً رويداً نجد أنفسنا كثرة وكثيراً. وهذا يدعونا للتنبه، فكلما فقدنا شيئاً من الطبيعة ازدادت شراستنا، واحتد طبعنا وضاق صدرنا، وأخذ بحثنا عن القوة وتطويرها وامتلاكها ضرورة لا خوفاً من الطبيعة وموجوداتها، بل خوفاً من بعضنا بعضاً، فما نراه اليوم من تعدٍّ زائد وجائر على حريات بعضنا أفراداً وجماعات ودولاً هو مخيف ومرعب، وإذا عدنا قليلاً إلى ما مضى وبحثنا في حاجة الإنسان واحتياجاته، وقارَنّا بين المادة والفعل، والعلم والجهل، والاكتساب والإنفاق، والتطور والتخلف، والاستهلاك الكبير والحاجة الحقيقية، والتقليد والحقيقة، نجد أن كلَّ تقدم علمي حصل كان على حساب جملة الحياة الإنسانية الفطرية والوسطية، والقناعة المنطقية التي سادت لفترات طويلة ضمن العقل الإنساني، إن الحاجة باسمها الكبير غايتها تحقيق الاكتفاء الذاتي، والذي يكون أقصى الطموح عند العقل المنطقي، وعندما تزيد تصبح زائداً وتتحول زيادتها إلى همّ مؤرق متعب، لتحتاج إلى حاجات مضافة كالحماية والانشغال بها وتشغيل الفائض يعني نشوء بدايات السيطرة على الآخر ومحاولة امتلاكه.

إن تعريف الزائد يجب أن يفصل بين الطموح العلمي والرغبة المعرفية، والإسهام في حركة التطور والتطوير، وبين الجمع النهم والشره لأخذ كل شيء، والذي هو مرض نفسي يصعّد

الأنا والسيطرة، ويؤدي إلى سياسة الابتلاع التي تنشئ الضغائن والأحقاد، وتخلق عدم المساواة، وضرورة التفريق بينهما يدخل الزائد في جدلية الامتلاك والتملك، وإدارة العيش بسلام ومسالمة والصراع وأسبابه، لذلك عندما يكون الزائد عمودياً يتطلع إلى الارتقاء الفكري الوجداني فيكون خيراً، وعندما ينعكس أفقياً مساعداً ومتشاركاً مبتعداً عن الفردية يكون أيضاً إيجابياً، أما إن كان جمعاً أفقياً وعمودياً من أجل فرد وتملّك مالا يحق له أن يملك، يكون الزائد مضافاً لا حاجة له مرفوضاً مُحارَباً ولا منطقياً.

ودخولنا على الناقص ومن اسمه وتعريفه، نعلم أن هناك حاجة لإكماله، بكون الرؤيا والدراسة والفحص تعطي نتيجة أنه يحتاج لإكمال، يجب أن يشكّل دافعة الفعل لإملاء النقص أو إصلاحه والوصول به إلى حالة التحام تشكّل لنا جميعاً حالة الاعتدال، فما بين الزائد والناقص نقطة التعادل التي يشير إليها الجميع على أنها الوسطية المقنعة، التي لا تقبل فائض التبجح ولا نقص الضعف أو الإشارة إلى عدم الاكتمال، وعندما نقول ونسمع أن خير الأمور أوسطها، نعلم أن الوسطية والتي أقصد بها اللغة والماديات الجامعة لكل خيوط الحياة المتزنة فكراً في العقل، تبعد التشدد وتنشد الحياة الكريمة.

إن حاجتي تكمن في هذه الحياة بين الزائد والناقص، ومعنى كلمة حاجة أنها نقطة التعادل والاكتفاء، وعند توفرها

وتحقيقها يحدث الثناء، وما زاد هو للعين الأخرى التي تبحث عنها، وما نقص أسعى لإكماله من جهد مطلوب في تحقيقه، هي كذلك الحياة تمضي مسرعة ما بين الزائد والناقص، فنرى الازدحام المتكاثر وفيه كلٌّ يبحث عن الزائد والناقص، ولعلمكم ليس الزائد مثل الناقص، فهما خطان متوازيان لا يلتقيان إلا عند ارتقاء العقل الإنساني، ليسأل كل واحد منا ذاته: هل هو في زيادة، وإذا وجد نفسه أنه يملك منها فكيف يتصرف بها، وإذا كان في نقصان فما هي آلية تعويضه للنقص الحاصل لديه، وما هي الطرق التي سيتبعها لإكماله.

الحرية

لم يكن الإنسان يوماً حراً ولن يكون، ولذلك يسعى دائماً وأبداً للمطالبة بأن يكون حراً، وهو يسعى لحريته ولا يصل إليها، وكلما أدرك أنه وصل إليها يجد أنه مازالت بينه وبينها مسافة لا بل مسافات.

إنه كذلك منذ نشأته الأولى أخذ يبحث عنها وعبر مسيرة آلاف السنين لم يجدها، وهو لذلك مطالِبٌ دائم بها وباحث مُصرٌّ عنها، فأين هي وماذا عنت له كإنسان، مع أنه وجد في رحابها ما لم يستطع أن يراه، فأطَّر نفسه وانحصر في داخل جزء منها مسيَّجاً وجوده بكل أنواع السياج، بنى الجدران

والحصون والمباني والقلاع وأخذ ينظر إليها من النوافذ وعبر المناظير، ويسجّل عنها الأفكار التي يتخيلها، ويرسم لها الصور وهو في ذات الوقت قابع بين جدرانها وملفاتها، لقد كتب عنها المجلدات وألَّف القصص والمسرحيات، وتاه في شوارع المدن والبلدان وأمام الجيوش والقيود والدكتاتوريات، متناسياً أنه القيود والحصون والعقائد والقانون وكل أنواع الخلل الهرمي في التراتبية الإنسانية.

إذاً لنتفق في لقاء حول تعاريف الحرية وتحديد موقعها، أهي مفهوم أم مطلب، أم أنها طريق يسعى الإنسان للسير فيه أم أنها ذهنية متطورة جداً تخضع لقوانين الإدراك العلمي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وهل تبدأ معنا منذ نعومة أظفارنا بحجم كبير وكبير جداً، ثم تبدأ كما بدأت الحياة تتأطَّر وتحكُمَ ويحكم عليها وهل لها علاقة بالبناء الحياتي والشكل المدني الذي أصبحت عليه الحياة، وهل الحرية ريفية أم مدنية، إن الطبيعة في الريف تعطيها الرحابة والمدنية، والمدينة تحصرها وتطالبها بالتضييق على نفسها، إفساح المجال للآخر الذي يجاورها، أي بمعنى أدق أنها كانت كبيرة جداً ومع التكاثر والتزايد السكاني الهائل بدأ كل واحد يقتطع منها جزءاً ليستمتع به، ومع هذا التقدم الهائل هل ستبقى لنا حرية، أم أننا سننحكم ونحتكم لبعضنا لنستعير من بعضنا شيئاً من الحرية.

يجب أن نتفق على أن الحرية المجردة لا وجود لها، وأنه

علينا القول: إنها قصيدة شعرية جميلة نتغنى بها لا أكثر ولا أقل، وهي إما محكومة من قبل الدين بحكم الواجبات والشرائع والفقه، والعقيدة التي ترسم لها شخصية خاصة لا تظهرها بأنها ملكية شخص حر، ولتمنحه سمة المتدين لتعود وتحكمه باسم هذه المسميات، أو هي محكومة من القانون الذي ينظم لها العلاقات الإنسانية والوظيفية والدينامية في الحياة الفاعلة والمنفعلة بحكم التداخل الحياتي الإنساني الكبير.

يحق لنا أن نسأل أين هي مكامن الحرية في العقل الإنساني، ما هي حدود ممارستها وما هي علاقتها بالشفافية، وهل هي مفهوم كسبي أم تفتح حياتي نستفيق عليه لنجده كبيراً وكبيراً جداً، ثم نسعى ليتضاءل ويصغر ويصغر ليعود منحصراً في داخلنا، متحولاً إلى حلم نطالب به ونهتف له: نريد الحرية، والحرية التي تحولت إلى شعارات لدى الأفراد والشعوب والأمم، كيف تنحصر بهذا الشكل، فهل هي شعار وشعارات أم أنها خيار تكتيكي، من أجل الوصول للهدف الذي هو في حالة الوصول إليه تسلّط ورعب وقوة مضافة إلى القوة المنشودة، لتكون الحرية مطية نمتطيها من أجل الوصول إلى الاستراتيجية النهائية التي تحكم الفرد والعالم، هذا سؤال كبير يقودنا إلى أن نقول: هل الحرية معارضة أهواء العقل ولجمها وتأطيرها، أم إعطاؤها مساحاتها لتلعب فيها، وإن تم هذا أو ذاك كيف يكون الشكل الإنساني، وما هي

علاقته بالآخر ومن ثم بالمجتمع والدولة.

هل هناك قواعد ومبادئ وسلُّم درجات، أي بمعنى هل هناك معايير لتحقيق الحرية والوصول إليها من خلال الفهم العلمي الذي يتضح من خلا ل المنطق المطالب بانتقال الحرية من الذهنية إلى الواقعية.

ومن هنا وبعد هذا التقديم نقول بأن الحرية ليست رفض الواقع، وليست تعارضاً مع الاختلاف، وليست هي معارضة ضد الطغاة والطغيان، كما أنها ليست قدرة الفرد الكاملة لفعل ما يريد، ولا هي العنان كله كي يطلق إلى آخره، فتتحول إلى آلية استعباد لكل شيء، من البشر إلى الجماد ومروراً بكل مكونات الحياة الطبيعية، الإنسان كما أسلفنا في هذه المقاربة حر بطبعه منذ ولادته ونشأته، ولكن هذه الحرية التي فطر عليها هي حرية بشرية، والبشر مشاع فالتطور الذي طرأ على البشر وحوّله إلى إنسان، حوَّل معه كل الطبائع والقيم والأفكار، وبالتالي ومن الطبيعي أن تتحول حريته معه من مشاعية إلى مدنية، فعندما كانت حريته في الدخول على أي أنثى من جنسه واستباحتها، وصيد ما يشاء وقطع ما يريد من الأشجار، توقفت كثيراً أمام التطور البشري، ونزعت عنه صفته الحيوانية وآلية نسبه الحيواني، لينتمي إلى السلالة الإنسانية الحقيقية ذات العقلية المدنية الحضارية المتطورة، ولتظهره على أنه قادر على فهم التوافق الحضاري، وبالتالي تطوير مفهوم الحرية

الذي اقترب من التشاركية المنطقية من خلال الحفاظ على الشخصية المستقلة ذات الرأي، بعد امتلاك فلسفة الحياة علماً وثقافة وأدباً، واتجاهه إلى فلسفة التكوين ضمن منظور الفكر الحر، الذي يؤدي إلى فكر خلاق له قواعد احترافية توصل مفهوم الحرية بطرق سهلة بعيداً عن الديماغوجيات والبراغماتيات.

إن الحديث عن المذهب للحرية كالمذهب السياسي والمذهب العقائدي والمذهب التجاري، ما هي إلا أحجيات ابتدعها الوسطاء من أجل زيادة السيطرة وتحقيق أكبر الغنائم من القادة في كل المذاهب على الرعية، وإطلاق الأيادي من أجل زيادة السيطرة والسلطة والسلطان.

إنني اعتقد أن الحرية بدون علم ومعرفة وثقافة نوعية، تبقى جاهلية وتدخل تحت مسمى الهواية، والهواية بدون علم لا يمكن لها النجاح، فتأطيرها وفهم غاية البحث عنها وامتلاكها، إن لم يرافقه فهم واع لمسألتها تأخذ بالباحث عنها إلى متاهات المجهول، وتحوّله إلى خيال لا واقعي، تفقده توازنه ليصبح أقرب إلى الجنون من حالات العقل، فالإنسان موجود ليفعل وينفعل، وهذا محكوم بنظم وقواعد، غاية هذه النظم أن تعرّفه ما يملك من حرية، وهذه الملكية الحصرية التي تخصه أيضاً تدعوه لفهم القواسم المشتركة بينه وبين الآخرين أعتقد أن الحرية هي الحياة كل الحياة، وبكوننا هذا نتقاسم العيش كما نتقاسم الحياة، أي نتقاسم

أيضاً الحرية وكما بنينا منزلاً والآخر بنى منزله، وذاك استأجر تكويناً، وهكذا دواليك كل واحد منا له قسم يسير من الحرية، وعندما تسير وتعمل لأجلك ما تريد فعله وعليك، أي هناك حرية لك تمتلكها وحرية لغيرك يجب أن تعطيه إياها، وإلا سيسلبك حريتك التي لك كي يصبح بلا حرية، أو إن كنت مستأجراً لها يستطيع أن يخليك منها فتصبح بدونها .

إن التباينات الكثيرة والغريبة التي ظهرت من خلال التعريف الكثير للحرية، هي ذاتها أوجدت كمّاً هائلاً من القيود ليتشتت مفهوم الحرية، فيعلو تارة وينحدر تارة أخرى، وليدخل عليها الغرابة فنراها متشائمة قاتمة مظلمة في حين أنها وضاءة مضاءة، ومضيئة لمسيرة الحياة الإنسانية بشكل عام، وإن تحويل الحرية إلى مسألة، ومسألة الحرية إلى إشكالية والإشكالية إلى إشكاليات، غايته إثارة شكل التعجب والاستغراب.

نعم الحرية أنت وأنا، وهي مجموع إنسان راح يبحث عن ذاته في ذاته، فكان له ما كان من الصح والخطأ فإذا عرف ما به وما عليه كانت له حريته، وكلما ابتعد من فهم ما عليه وزاد فهم ما له ابتعد أكثر عن حريته ودخل في عبوديته.

فالعبودية التي نتخيلها حبساً ونقرر أنها ضد الحرية، هي ذاتها النفس البشرية السالبة أو السوداوية المتلكة في العقل الإنساني، وضرورة فهم الإنسان لذاته ضرورة لمعرفة

كمية الحرية ومساحتها التي يتمتع بها وعندما أقول إن الحرية مجموع إنسان، فإنني أدعو إلى القواسم المشتركة بين الإنسانية لا البشرية، لمنح الحرية حرية التنفس واستنشاق كمّ كبير من الأوكسجين، فالهواء الحامل للكربون والهيدروجين والكبريت هو نفسه حامل للأوكسجين، وإذا تعلّمنا فرز كمية الحاجة من المجمل المجموع فيه، استطعنا فهم الحرية وارتباطها العضوي مع جملة وجودها، فهي جملة الضوابط التي تحب أن تمارسها بينك وبين ذاتك، فتتحقق لك السعادة الخاصة، وإذا رآها الأخر سعد بها وأحب أن يمارسها، وكل ما قيل حول معاني الحرية ابداع لحظي حمل غايات منها المشوه الخبيث، ومنها الخيّر النبيل، ولكن في معظمه كان من أجل زيادة السيطرة على قدرات الإنسان الكبيرة من الانفلات، وحصرها دائماً ضمن الشعور، فهل الحرية شعور وأحاسيس وصرخات في المساحات الخالية، ودموع تنهمر بعيداً بعيداً بين الجبال وخلف التلال، صرخات تملأ المدى ويعيدها الصدى، نرنو إليها لنعرف أننا نمارس حريتنا بالإحساس والمشاعر، ونتخذ القرارات متأكدين أننا أرقى وأسمى من كل الظواهر، لذلك إن كانت هي مع العلم فهماً حولته إلى إبداع، والإبداع وجود حر ضمن روابط مجتمعة ما بين السماء والأرض والمحيط بتجلياته.

أقول: إن الحرية ليست مسألة وليست مفهوماً، إنها مجموعة الشعور: الحزن والفرح، والنتاج الصح في الحياة الذي يحقق

السعادة، فتظهر على شكل السعادة الخيالية في الخيال، ولذلك نبحث عنها منذ ولوجنا لهذه الحياة السعادة التي نتخيلها سعيدة وطيبة تبتعد عن التسلط والتكبر، تساوي الإنسان، بأخيه الإنسان وتكون متصالحة مع ذاته في بدنه المادي، لا سيّد فيها متسلطاً ولا عبداً لا يستطيع التخلص من عبودية الشهوات والآخر ولا استعباده للآخرين.

الحرية التزام الساكن بشروط المسكون، يعمل بالمعطيات الممنوحة له من الأعلى والمحيط، ليصبح متحركاً ويمتلك مساحة المسموح، واضعاً إشارات على الممنوح ضمن إطار فهم عالٍ لأسباب المنع، وإلا يبقى خارج فهم الحرية مبتعداً عنها، باحثاً عن وجودها في الوجود من يوم ولد إلى أن يغادر في رحلة ضياع لا متناه، إن الحرية هي الإنسان وقدرته على قيادة الحياة بشكل ايجابي، لقد قلتُ في الحرية ما تقدّم، وقالوا عنها إنها تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين، وقيل إن الحرية هي القدرة والطاقة اللتان يوظفهما الإنسان لأجل القيام بعمل، كما أن الحرية عبارة عن قدرة الإنسان على السعي وراء مصلحته التي يراها بحسب منظوره، شريطة أن لا تكون مفضية إلى الإضرار بالآخرين، وقيل أيضاً هي عبارة عن استقلال الإنسان عن أي شيء إلا عن القانون الأخلاقي، وقيل عنها في المنظور الإسلامي إنها التفلّت والتحرر من عبودية وإطاعة غير الله. وفي المنظور المسيحي هي التحرك ضمن مشيئة السيد المسيح حامل السلام، أي

بمعنى هي التسامح كي يسير الإنسان إلى الأمام، وهناك الكثير الكثير من النظريات الوضعية ذات أيديولوجيات خاصة وفلسفات مشتقة قانعة للإنسان، ومقنعة تسلبه أبسط مبادئ وقواعد حريته، وتحوّله إلى نسيان من خلال إشغاله بالبحث عن قوته اليومي، وغايته فقط الاستمرار من أجل فاعلية الغير، لا تفعيل له ولا لنفسه، إنها كل ما قلناه ومالم نقله أو ما سيقوله المهتمون، والذين يهتمون بمواضيع الحرية من الآن إلى باقي الزمن.

إن للحرية حدوداً تنتهي عندما تصل إلى حدودها، فإذا خرجت من حدودها بشكل نظامي تدخل حرية الآخر من بابها العريض، شريطة أن تلتزم بشروط حريته، وإذا تجاوزت سياجها تظهر بشكل هارب من حريتك مارقٍ وإذا استقبلك الآخر استعبدك ولن تملك حريتك لا عندَه ولا حتى إذا عدت إلى حريتك.

العالم

الكلمة الكبرى بل الأكبر التي عرفتها البشرية لينضوي في داخلها كل المكنون المعرفي الإنساني واللا إنساني، ليشكّل البشر جزءاً يسير منها بكونها أكبر منه بكثير، ومنها اشتق العلم كي يولد العالم، ولذلك هو قليل ومهما أوتي من علم بها يبقى قليلاً، فالعالم هو كل شيء يحوي في داخله كل

شيء يحتاج إلى التفسير ومن خلال امتلاك البشر للعقل والمقدرة بالتأمل والتفكر بغاية الوصول للمعرفة، استطاع البشر إسقاط الإضاءة على أشياء وظواهر عمّقت مفهومه للوقائع والواقع المحيط، فشكلت لديه منظومات أخلاقية وخلقية اقترب بها كما البحر، هادئاً تارة ومضطرباً تارة.

لقد تعمَّق الإنسان في نفسه وتكاثر فأطلق على الجنس البشري عالم البشر، ثم تأمل محيطه فوجد الحيوان والنبات والجماد ليطلق عليها عالم الحيوان وعالم النبات، ومن ثم بدأ ينتشر وينطلق إلى الحياة ليرى عالمه المحيط، إلى أن وصل إلى فهم العالم بأنه كلٌّ، وما نحن والموجودات إلا جزءٌ مضافٌ إلى وجوده فنرتبط به كما ترتبط كل الأشياء.

والنظر إلى العالم المضاء على أنه عالم النور، وإلى المظلم عالم الظلمة أيضاً، لتجد أن الظلمة والنور قسمان يرتبطان به ليعطياك عالم الفكر والأفكار، وعالم الوعي واللا وعي، كما أنه يأخذك لتظهر في عالمك المادي فنسميه العالم المادي والعالم الروحي الذي تختفي فيه المادة، ولم نصل بعد لظهور الروح، وإنه لمن الخطأ أن يقال بزوال العالم بل يجب أن يقال زوال الجزئيات المضافة إلى العالم.

إننا كبشر وبكوننا إضافة إلى العالم، وحملنا لمهمة إضافة الأشياء إليه وتأطيرها وترتيبها وتجميلها، أوجدنا لهذا العالم مفهوماً من خلال الوجود البشري ذا أهداف ومعانٍ جديدة، فتشكيل البيئة أعطى العالم البيئي حضوراً،

وتشكيل المدنية أعطاه هندسة، والتعمق في المحيط أعطاه العالم الفلكي، لنجد أن العالم ارتبط بالإنسان ليولد العالم.

إن مجرد حضور الإنسان في هذا العالم كشكل عمود، لم يكن حضوراً طبيعياً، ولم يكن حضوراً قانعاً فقط من أجل تسجيل نفسه بين الموجودات، بل كان حضوره من أجل قيادة كل الموجودات، وبالتالي قيادة نفسه والسيطرة عليها بإضافة الفكر والأفكار، وجوده الحقيقي هو وجود في الاعتراف من أجل تطوير المادة ولينشأ العالم المادي.

فوجود المادة ضمن وجود العالم، وحضور الإنسان بعالمه الروحي، أدخَله لامتلاك المادة وتطويرها من خلال البحث والتعمق بها وتطويعها، لتتوحد معه وتخدمه في عالميه المادي والروحي.

إن الإنسان الذي تشكَّل من الروح والعقل والنفس، هو مثلث العالم تجمَّع فيه ليأخذ شكل المادة الموجودة في الأرض، ويتداخل معها لينجب العالم المرئي من مجموعة العوالم، فلا وجود له بدون عالم الروح، وهو بهيمي بدون عالم العقل، ومظلم بدون عالم النفس، (القوة المحركة للجسد المادي) وارتباط هذه العوالم بالعالم الأكبر غايته الخروج من العالم المادي المظلم إلى عالم الفكر المضاء، فيمتلك من عالم الحكمة ما يأخذ به إلى مسيرة الوجود والاستمرار بقناعة الارتباط ما بين البداية والنهاية اللتين تشكّلان إضافات في

العالم الكبير، لنفهم العالم وما أضيف إليه، هذه الإضافات التي من خلال الفكر أعطتنا الفهم لأسباب وجودنا ولنقدّر أن العالم غير منحصر في كلماته المضافة إليه، بل هو عالم العوالم.

الشمعة

إحدى أدوات الإضاءة القديمة والبسيطة التي عرفت منذ ما يقرب الخمسمائة عام قبل الميلاد، ومستمرة حتى يومنا هذا بمادتها الأساس، وهي الشمع المأخوذ من شمع العسل في بدايته الأولى، واستمر حتى أيامنا هذه مع استخدام مواد شحمية تذيبها النار التي توقد في فتيل يغرس في داخل الشمع، ليعطي إضاءة من شكل أسطواني عمودي الشكل لم يتغير عبر مر العصور كما تبعه اسم حامل الشمعة ليطلق عليه الشمعدان .

لقد اعتبرت الشمعة عبر العصور تعبيراً تصويرياً دقيقاً عن وقفة الإنسان مع ذاته من خلا ل خلقها للحظات السكون والهدوء، وإحضارها للوداعة، فإذا تأملتها تجد أن قلبها يلهب اشتعالاً، وجسمها البارد الصلب يحترق إذابة المحبوب في المحب، والمعشوق في العاشق، تسكبه من فوهتها الشامخة دموعاً تنحدر متلاحقة، تاركة خلفها هالة من نور تسعد كل متأمل بها أو المهتدي إلى النجاة بضوئها.

الشمعة ظاهرة حية ومثال حقيقي حي للمتوحد في الحياة مع الحياة، المتصالح ما بين مظهره وجوهره، فكما هي ليس لها فخر في ذاتها، وغايتها الإضاءة من أجل تبديد حجب الظلام المحيطة، وبعث الحرارة والدفء إلى من يحملها أو يشعلها مقدمة حالة فعل وعمل حقيقي بغاية الانتباه إلى الحياة في فعل البصيرة، لا حالة البصر فهي لا علاقة لها بالنهار أو الليل أو وجود الكهرباء والنور الصناعي، بل متعلقة بشكل خاص مع الجوهر الإنساني الذي تعمل له، من خلال احتراقها مضيئة ومستمرة في إضاءتها إلى أن تنتهي كما الإنسان الحقيقي يستمر ويستمر عطاءً إلى أن يغادر بجسده ليبقى مستمراً في فعله وإنجازه.

لننتبه ونلاحظ أنه كلما كان الوسط مظلماً ظهر نور الشمعة أقوى وأكبر على الرغم من صغر حجمها، وإذا أردت رؤية قوتها ضع الشمعة أمام مرآة وانظر وتأمل كم أن وجهك مع ضوئها جميل، وتفكّر بأنها تحرق نفسها لتظهر جمالك وتمنعك من الخطأ والوقوع في الحفر، وتأخذ بيدك إلى الطرق السليمة، فإذا فعلت هذا حادثْها لتجدها تقول لك: إن مهمتها في الحياة هي ذات عين مهمتك، وفهم أسباب وجودك، إنها مثلك تحتاج إلى الهواء النقي وشدة الرياح والعواصف تؤذيها كما تؤذيك، فالتجارب الصعبة التي لا طاقة للشمعة احتمالها تعطي الإنسان فرصة احتمال الصعاب، بالاستفادة من نورها وفهم فلسفتها، التي لا بد

أن تنتهي من كثرة احتراقها، ولكنها لا تفنى، لأن القانون يقول: المادة لا تفنى ولا تُستحدَث، بل تتحول كما الإنسان الجيد المنتج، فهي ذات طبيعة نورانية والإنسان يتحول إلى طبيعة نورانية بكون منشئه نورانياً، وكفاحها أثناء اشتعالها وإرادتها بأن تشتعل وتشتعل حتى النهاية، وإرادة القضاء على أجواء الظلمة وإبقاء النور ليفيد الإنسان، إنها وبما توحيه من ضوئها الخافت تملأ الجو المحيط بالرهبة، ليلين القلب أمام وهجها الهادئ الذي يساعد الإنسان على التركيز في تفكيره والتعمق في موجوداته.

لقد استخدمت الشمعة في المعابد، وورد ذكرها في مخطوطات القرن الثالث الميلادي، ضمن وصف إقامة الصلوات، وعند ذكر الشهداء تكريماً وتحية لأرواحهم التي أضاءت في محيط العالم. قبل الإضاءة في ملكوت الخالق، واعتبرت رمزاً للكهنة والعابدين، وحملها الورعون المؤمنون في ملابسهم البيضاء، تيمّناً بالملائكة معلنين بشارة الفرح، مطالبين أن يكون البشر جميعاً لبعضهم منارات فعل وعمل وإضاءة، وتقديم نفوسهم وتكريسها لخدمة بعضهم بعضاً، مطالبين أن تكون نوراً تنير من خلالنا ظلمة النفوس، إننا نشعل شمعة للحب في عيده، ونشعل شمعة مع مرور كل سنة من عمرنا ونشعل شمعة تقرباً من الإله ولأجله، ونشعل شمعة عند الزواج، ونشعل شمعة إذا أردنا تهيئة جو رومنسي وإنجاز فعل حميمي حار، للشمعة فلسفة ضرورة فهمها تدعونا للتأمل بها، ولولا ضرورة

وجودها لما اهتم العالم أجمع بها واستخدمها في كل المناسبات، وأعطاها الحضور والألوان، وأضاف لها العطور واستخدمها مع البخور لترافقه في إضفاء السلاسة والكياسة للوجود، هل أشعلت شمعة في حياتك قد تكون فعلتها كثيراً، ولكنني أدعوك لتشعلها في هذه المرة متأملاً متفكراً ناظراً إلى صورتك، ومتبصراً في داخلك فهي تشبهك كيفما تكون، إنها رمز التفاؤل وتساعدنا عند الوقوع في النفق، لنحملها مرة ثانية بكونها موجودة في أوله، ولنحافظ عليها كي توصلنا إلى آخره، فنخرج إلى النور بكونها واسطته وأداة الوصول إليه، إن المثل يقول: أشعل شمعة خيراً من أن تلعن الظلام.

القفـــــل

ذاك الذي تضعه على باب منزلك ومكتبك، ومتجرك ومؤسساتك ومعاملك والأملاك العامة والخاصة وحواسبك، وعلى حدودك البرية والبحرية والجوية، وتضعه في عقلك لتلج به شرّك وفي قلبك كي تغلق على حبك ومحبوبك، وعلى فمك لتضبط به لسانك وكلامك فلا يأخذ بك إلى الهاوية، ذاك القانون والحق الذي تمتلكه وصدقك الذي ينجيك أمام كذب ونفاق الآخرين.

نتحاور ونسأل بعضنا: لمن يصنع القفل ولمَ نضع كل هذه الأقفال في حياتنا، وهل نضعه خوفاً ورهبة من الاعتداء

والاستباحة، أم نضعه من أجل زيادة الأمان والتأمين، هو حوار بيننا نشأ بغاية معرفة القفل والغاية منه وحاجتنا إليه، وأي نوع نختار من أنواعه وأين نضعها ولمن نضعها.

أؤكد بأن القفل صنعه الإنسان من أجل أخيه الإنسان الذي يمتلك الإنسانية بمحتواها الخيّر الفاعل المنتج والإيجابي، على الرغم من وجود إنسان قفل، وقفل إنسان، وإنسان فيه الكثير من الأقفال، وهي ندرة في الإنسانية هذا الإنسان الشريف والعاقل والكريم الأمين، الذي يمتلك العقل والحكمة والحياء، ويخاف على أخيه الإنسان فإذا وَجَدَ هذا الإنسان المتمتع بهذه الصفات قفلاً، أو باباً مفتوحاً أقفله وأغلقه خوفاً على أخيه الإنسان، بمعنى أدق صنع القفل لأبناء الحلال الراشدين الفاهمين والمتفهمين لرسالة الإنسان والإنسانية، وأسباب وجودهم الإنساني، الذي يحمّلهم لغة الحياة وفعلها وانفعالها بحكم إحساسهم بحاجتها لهم وحاجتهم لها، لذلك صنعوا الأقفال دون التطلع إلى أشكالها وأحجامها وأنواعها، خشبية كانت أم حجرية معدنية كانت أم معنوية، المهم في كل ذلك أسباب وجوده وحضوره في فلسفة التكوين الفكري التي تنجب التكوين الحياتي وضرورة الانتباه إليه وحمايته.

نستنتج من هذا وندرك ونؤكد على أن القفل صنع ووضع من أجل الإنسان الجيد، فإذا دخلنا وسألنا: لماذا لا يكون للسيئ والشرير والانتهازي والسارق والمارق، والمخالف والمعتدي والمتعدي؟، نقول: إن من فيهم هذه الصفات ويحملونها،

وسلوكياتهم تدل عليهم عندما يمتلكون نية فعل الشر بكل أشكاله، يعرفون تماماً أن هناك أقفالاً وأن هناك موانع وأنه يوجد قانون، لذلك يتسلحون بالأسلحة والمعدات التي تمكنهم من الخلع والكسر والقتل والاقتحام، وإنهم على استعداد للقفز من فوق كل ذلك من أجل تحقيق مراميهم الشريرة.

إن قضية القفل والأقفال تخص كل واحد شريف يعيش على وجه البسيطة، وينشد لها الخير ويعمل من أجل زيادة الإنسانية ويواجه بها كل الأشرار والسيئين ليس في مجتمعنا فقط بل وفي كل مجتمعات العالم، فقفلك حدود منزلك ببابه، ومدينتك بمداخلها، ووطنك بحدوده التي تريدها آمنة، وشخصك بأخلاقه الحميدة وزيادتها، بوصلك واتصالك الإنساني.

لقد صنع الإنسان القفل ليكون أداة مساعدة للقانون، يظهرها في حالة حصول التعدي على أي نوع من أنواع الأقفال التي ذكرناها، الذي يحمي الحقوق ويمهرها بخاتمه، كي لا تضيع أمام ضعاف النفوس وفاسدي العقول والأخلاق، والإتكاليين الذين يتوهمون سهولة نيل الأشياء المادية والمعنوية، دون النظر إلى جهد الآخرين وتعبهم، القفل صنع للإنسان العاقل الذي لا يفتحه قبل أن يستأذن، ولا يدخل من خلاله قبل أن يعلن ويعلم ويشير إلى أنه قد حضر، ولا يتجاوز حدوده قبل السماح له بكل ذلك، لكل هذا صنع القفل لا لغير العاقل.

المجـــد

من منا لا يحلم بأن يبني له مجداً ليتربَّع عليه ويقول: ها أنا ذا هنا أكون، فانظروا إليَّ وشاهدوني أو تابعوني أو اقرؤوني، تحدثوا عن مجدي، عني إن أدهشكم مجدي.

أنا أسأل ما هو المجد كيف يُبنى، وكيف نصل إليه، ما نوع قمته مستديمة أم زائلة، هل له أطراف لنمسك به ونقول إننا امتلكنا أطراف المجد، أم أنه زئبقي لا يُمسَك ولا يُمتَلك، وهل قمته ثابتة أم متحولة، وهل هو صعب المنال أم سهل ممتنع، أحاول معكم البحث في مكنونه، أدواته، سبل الوصول إليه، هل هو معنوي أم مادي، وهل يمكن أن يكون رسالة حياتية، تتضمَّن الشخصَ ذاته، الباحثَ عنه، أو بناء الأسرة فيكون جسراً بين ضفتين أهو طريق، أهو عقل وقلب بمعنى فِكر وتفكُّر، هل هو أفقي أو شاقولي، والمجد المكانة التي يحب كل إنسان أن يصل إليها ليحقّق من خلاله الحب والاحترام والمقام هو حق طبيعي يطلبه كل إنسان ويبحث عنه في الامتلاء، لكي يرفعه الآخرون، ولا يكون في الفراغ أو الوهم، إنه موقف يُظهِر مروءة الإنسان وسخاءه وكرمه، يدافع فيه عن شرفه العملي والوطني والإنساني، وتكون له

فيه المسؤولية الكبرى عند تمتعه بالإباء والسؤدد، والمجد من الماجد وهي صفة إلهية لا يصل إليها إلا من يحمل سمواً في الأخلاق وفعلاً يراه الآخرون ليرفعوه، فيكون سلّمه إلى المجد، وإن أمجده أثنى على فعاله، طبعاً إنه المجد للإنسان يصنعه الإنسان ذاته، فيظهر عليه هالة وإحاطة ترتقي به سمواً و علواً، فيمد يده ليأخذ بمن ساعدوه ورفعوه إلى جانبه فيكون بمجده مجداً ليس له فقط بل لهم أيضاً
ليس للحياة معنى إن لم تمتلك التدافع والاجتهاد والمطامح وتحقيق الانتصارات، وما يفرزه العقل يعززه الفعل، فإما أن يطور الأنا ليعتقد أنه بذلك يجمع كل شيء فيكون لا شيء، وإما أن يطوّر نفسه خدمة للجماعة والمجموع فيكون هو هُم، وهُم هو، ويحصل التبادل ويتولد المجد ليكون الأمجاد.
لا يسمى المجد مجداً إن لم ينل رضى المجموع، فالإنسان لا يعيش وحيداً، وبدون مساعدة لا يمكن له أن ينجز ويحقق، ومع الآخر يصنع ويطوّر فالمجموع المنتظر للمساعدة هو الذي يوصل الفرد بمساعدته إلى المجد من أجل أن يعود نتاجه فينعكس عليه حضوراً وسعادة ممّا قدّم، لذلك فإذا لم يعترف الفرد بمساعدة المجموع أصبح ضئيلاً هزيلاً مفرداً فينهار مجده لعدم اعترافه بجهد الآخرين.
المجد لا يبنى من تعب وشقاء المحيط، ولا بالتسلط عليهم أو ابتزازهم وسرقة أحلامهم، بل معهم وبهم، ويجب ان ينعكس مجد الفرد على الأسرة، ومجد الأسرة على مجتمعها، ومجد

المجتمع على أمته ووطنه، ليعود بعد أن يصل قمة الهرم مفيداً يفيد الجميع وفخراً يفتخر به الجميع.

لننظر إلى تاريخ أمتنا وإلى أمجادها و إلى أناسها الذين بنوا تلك الأمجاد، ولنعتبر ونتعلم كيف أن المجد لا يتم بناؤه إلا بالتعاون والانتماء، والعلم والمعرفة، والإيمان بالشيء والتعمق فيه، وأن نكون بجانب بعضنا بعضاً نشكل دافعة ورافعة لبعضنا بعضاً، نضيء من خلال تحولنا لشموع من أجل الوصول إلى الهدف الأسمى، الذي إن تحقق حقق المجد لنا جميعاً.

هكذا أرى المجد محبة للأرض والإنسان، وتفكراً يتحول إلى علم وعمل، فلا ينتج المجد من فراغ بل من امتلاء، وبعد التخلي عن الأنا الفردية والانصهار ضمن بوتقة الفعل والتفاعل مع الآخر، والتأمل في الموجودات، فالتخصص في الجزئيات، بهذا يتكون الكمُّ المعرفي في البصيرة المبصرة، فنرى طريق المجد سهلاً رغم وعورته ورغم مصاعبه، يذلّلها المؤمنون بأن الوصول للمجد يحتاج التعب الكثير من الجميع.

لنصنع المجد مؤمنين بأننا أمة تستحق استعادة أمجادها بصناعة أمجاد حقيقية، من الآن وإلى ما سيأتي من الزمن.

المــوت

كلمة قوية ما إن نسمعها حتى نرهبها ونخاف منها على أنها

آتية لا ريب فيها بكونها حق، واعتادت البشرية أن تخاف الحق وأحياناً تكرهه، والموت حق إنه انفصال اللامادي عن المادي، أي أن الروح تسكن العقل اللامادي والنفس تسكن القلب المادي، كما أنه عند توقف الفعل والانفعال وسكونه يتحول الموت إلى فناء.

الموت في علم الطب والمعرفة والعلم تعريفه: موت المخ وتوقّف أوامره، لا موت القلب وتوقّفه فالقلب أداة نستطيع استبدالها ولكن المخ هو الأداة الوحيدة التي لا يمكن استبدالها، هل نستطيع أن نعتبر النوم موتاً جزئياً بكونه يستهلك ثلث عمرنا الحي وينخفض في هذا الثلث النائم الأداء إلى أدنى درجات الحركة، ليعني لنا أن النوم هو الموت الحي، وهو مؤقت وجزئي، وضروري للحياة المادية بين صعود الروح ونهاية الحياة المادية.

إن الأبحاث والدراسات لم تتوقف عبر مسيرة حياة الإنسان في التاريخ، فمن فكرة التحنيط عند القدماء وغاية الحفاظ على الجسد، إلى فكرة إلباس الإنسان أجمل ثيابه ووضع حليِّه ومجوهراته وماله، وغاية الأفكار البحث في آلية الموت، وهل الروح ستعود للجسد أم لا، وفكرة وزن الجسد قبل وبعد الموت والبحث عمّا نقص منه، أجريت تجربة على شخص محكوم بالإعدام وضع في غرفة محكمة الإغلاق وأعطي حقنة الموت بعد وزنها وإضافتها إلى جسده، والذي حدث أن الشخص مات وتم وزنه بعدها فوجدنا وزنه + وزن الحقنة

تاماً دون زيادة أو نقصان فما الذي حدث؟ من هنا نجد أن الجسم الإنساني الحي لا يختلف كيميائياً وفيزيولوجياً عن الجسم الميت في شيءٍ، فإذا قمنا بتشريحه نجد أن كل شيء تام، والفرق أن هذا يعمل وهذا توقّف كل شيء فيه، توقّفٌ لا توجد أي قوة علمية قادرة على إعادته إلى العمل، بالرغم من أنه في أغلب الأحيان تكون أعضاؤه بحالة ليست جيدة فقط بل حالتها ممتازة، ولذلك هناك من ينقل الأعضاء بعد التأكد من صلاحيتها ووضعها في بنوك إن أراد الشخص أن يتبرع بها.

من هنا نكتشف أن توقّف البرنامج العقلي المسؤول عن تشغيل كل الأعضاء الذي لا بد من وجوده كمبرمج، مسؤول عن آليات عمله وتوقفه في الإنسان المتكون في الأساس من مجموع ذري حي، والذرة تولّد الخلية التي تعمل حية ضمن الأعضاء الجسمية، وتنمو وتتطور من خلال تغذيتها المادية الدائمة بمنتجات التراب والماء والهواء، وتوقّف أي نوع من هذه الحقائق يعني موتها لا بل موت الجسم في جملته وصورته الإنسانية مرة واحدة، فيكفي منع الهواء المغذي الأساسي للروح كي تتوقف فوراً ويموت الإنسان، وقد يحتاج لبعض الوقت فيصبر على الماء والطعام بكونه يجتر مخزونه ويأكل نفسه متناقصاً إلى أن يموت إن استمر المنع.

السؤال: هل العقل الذي يوجد في المخ هو الروح التي تدخل عبر المنافذ مع الهواء لتعود إليه، وهو المسؤول من خلال

أوامره يوزعها على كامل مجموع الإنسان الذري المكونة لكامل الخلايا الحية التي تحيي الإنسان. أم أن كامل الخلايا تتجمع لتعطي روحاً للإنسان فتجعله إنساناً حياً، بدليل أن هناك أعضاء ظاهرة أو مخفية في الجسم الإنساني تموت قبل موت الإنسان ويمكن استئصالها أو استبدالها.

إن تجربة اختبار الأحاسيس والشعور هي اختبار لحياة أعضائنا الجسدية الحية منها والميتة،فهي الأفعال والانفعال، وتكون مسؤولة ودالة على الوعي واللاوعي القادم من المبرمج الآمر، ودليل حياة وموت البعض منها أو قليلها التي تؤدي رويداً رويداً إلى الموت الكامل، وهذا يأخذ بنا إلى أن هناك موتاً بطيئاً وموتاً مريضاً وموتاً مفاجئاً.

إنني ابحث بهدف إضافة ومضة إلى معرفته، وأؤكد أنه لا يكفي توقف القلب كي يموت الإنسان أو أن يبقى يعمل بعد موته، لأتجه معكم إلى المخ الذي أعتقد أن الروح تسكنه وهي أداة حياة، والحياة لا تفنى، وعند فناء المادي تصعد، ولا يمكن أن نسميها النفس بكون النفس أمّارة بالسوء وتموت بانقطاع النفس وبكونها وسيلة عيش الإنسان، ولكن السؤال هل يعلم الإنسان في أعماق ذاته أنه سيموت أو أن الموت قادم إليه وهو حي، أم يعلم ذلك من خلال دلائل ومؤشرات وأحلام يحس بها، و أؤكد على الإحساس والرؤيا وهل يراه في لحظاته الأخيرة، إنني أقول: حتى الآن لم يُعرَف للموت تعريف دقيق، وإنما كل ما نتحدث به هو اجتهاد إنساني من

خلال التراكم المعرفي الذي ومهما بلغ يقف أمامه عاجزاً ليبدأ البحث حوله من جديد.

الموت حقيقة وحق وخروج الروح من الجسد وانتقالها إيمانياً إلى العالم الروحي، تخلد مراقبة حسب سعادتها الحياتية أو شقائها يدعونا للتفكر فيه، فإن كنت فاعلاً وواثقاً وجاداً، وإن كنت مريحاً وخلوقاً ومؤمنا بمبادئ وأسباب وجودك، وعاملاً على أن تسجل فيها أنك مررت في دروبها وسلكت مسالكها وأنجزت جودةً وحسناً فلا تخف، لأن الموت حق ومنذ لحظة ولادتك عليك أن تعلم أنك تسير إلى حتفك ونهايتك لذلك علينا أن ننجز في الحياة ولها حصراً بكوننا كما أتينا سنعود، ولذلك لا تخافوا الموت فالموت حق.

إننا آيلون إلى زوال فماذا يعني هذا لنا؟ هل نجلس وننتظر أم أن لنا رسالة نؤديها على مسار موجود بين نقطتين هما الولادة والنهاية، بالتأكيد هو سؤال رئيس في عملية الحياة التي تشكّل إغراءاتها دعوات نبحث فيها، وتهيئ فرص العمل الكبيرة من خلال موجوداتها ومعرفة نقطة البداية (الولادة) وذلك الزخم البصري الذي ننمو عليه يدفعنا لنسيان نقطة النهاية (الموت) وحتى عند مشاهدتنا ورؤيتنا للآخرين وهم يرتحلون من بيننا (أبناء، أهل، أصدقاء، أبناء وطن وأمة) ينتابنا الحزن ثم سريعاً ننساه، حتى ولو بقي في ذاكرتنا يبقى ذكرى دون أن نفكر أو نتفكر بأنه قد مات، إننا نحاول تذكّر أفعاله الجيدة أو السيئة ونترحم عليه سريعاً،

لننتقل إلى الفعل الذي نقوم به مبتعدين قدر ما استطعنا عن كلمة الموت ومعناها.
إننا نعيش لنحيا ونعمل كي تحيا الحياة ولنزيد في حياتنا وحياتها، وإذا أردنا أن ننجح فيها علينا أن نتفكر في النقطتين البداية والنهاية، وأن نسعى جاهدين للربط بينهما بطريق ومسير واضح بنّاء وهادف.

المصيبـــة

حجمها نوعها ماهيتها، متى نسميها مصيبة، وأساسها أصاب ومنها أصابته، وهي تصيب فرداً وأسرة ومجتمعاً وأمة، فهي كل ما يؤذي الإنسان بشخصه أو بما يلد منه، أو جنيه وجمعه وتكوينه أثناء مسيرة حياته، وفي شكلها العام إن لم تكن منهية تكون دافعة ورافعة على مبدأ (إن لم تقصم تقوِّ) ولكن إذا امتلك من تصيبه القدرة على تحمُّلها وفهمه للصبر ككلمة ساحرة تعطيه قوة مقاومتها واستيعابها، حتى يبدأ من جديد ويتجاوزها.
أعتقد أن المصيبة ليست في كل حالاتها شراً، ولا توجب الجزع والخوف إن كانت طبيعية أو حقيقة قادمة من اكتشاف مفاجئ أو لا إرادية، بل إن استيعابها وتحليل أسباب حصولها بشكل منطقي واعٍ يخفف وطأتها ويفيد في امتصاصها وقّلْبِ المجن لتجاوزها، وإذا تحلى المرء بالإيمان الحقيقي وحسن

التحمل وقوة الصبر يجد أنها لا توجب الجزع، وإنما هي محك يوضع الانسان عليه ليظهر جوهره ونوعه، ومن أي مرتبة إنسانية هو، ولا ينبغي علينا اعتبار الموت كنوع من أنواع المصيبة بكونه حقاً وحقيقة واقعه لا محالة عاجلاً أو آجلاً، والحوادث والمرض والعوامل الطبيعية ذات الكوارث تُصنَّف كنوع من أنواع المصيبة وتحتاج إلى فهم أسباب حدوثها.

إن كل هذا الحديث حول المصيبة يدور في فلك الإنسان وعليه، وعلاقتها بالإنسان بكونه حاملَ عقل وبصر وبصيرة، تخوّله بمعرفتها وتقديرها واستيعابها، وكما ذكرت: الإنسان على أنواع في الاستقبال لها، فمنه الساخط ويكون أسوأ أنواع الإنسان، ومنه الصابر وهو فوق الإيمان، ومنه الراضي فيعتبرها قدراً مقدّراً ليقنع بها هادئاً صابراً عليها، وهو أعلى مرتبة من الصابر، ومنه الشاكر وهذا أعلى مراتب البشر وحاله الأفضل بين كل المراتب، وتحليل الشكر أولا والرضى ثانياً والصبر ثالثاً والسخط رابعاً، تحليل لشخصية الإنسان وعلاقته مع جملة الحياة ومكوناتها، وخيره وشرّه وحسنه وبشاعته، وعندما نفرّق بين الموت على أنه حالة حتمية نسدل عليه ستار الحزن ونعلّقه في خانة النسيان، فصغيراً كان أو هرماً تستطيع بالتحليل فهم موته وأسبابه، والمال وضياعه أيضاً له علاقة بحسن الإدارة وفشلها.

أقول المصيبة فعل استباحة الإنسان لأخيه الإنسان في غفلة منه، ما إن يستفيق حتى يجد نفسه في فراغ حاصل،

وتحدث إما لجهله بمعرفة الشيء الذي أصابه، أو وضع نفسه في مواجهتها لتصيبه دون غيره، إن المصيبة ليست سوء الحظ، وليست الموت ولا علاقة للدهر بها حتى نَسُبّه أو نلعنه، إنها في اعتقادي قضية تجاهل الأخطاء وتراكمها وعدم معالجتها في وقتها، تتراكم لتنفجر في لحظة كاشفة البنيان الهش الذي ينشبه الإنسان أمامه فيرى حجمها أكبر منه بكثير، وهنا تتدخل الأحوال فإما أن تجعله لاعنا ساخطاً، وإما تُطور الوعي عنده وتمنحه الصبر الذي قليلاً ما نجده عند المصابين بالمصائب، وإما نراه حامداً شاكراً لم يكن له دور في حياته ولا علاقة بها، وإنما نتاج فعل ضغينة أطبقت عليه.

هي هكذا تظهر في وقت نسيانها وعدم حساب أوقاتها، وفي غفلة منا أو جهل بمعرفتها وتقدير قوتها، أؤكد على أنها في أغلب أوقاتها تكون انعكاساً لمسيرة حياة الفرد أو الأسرة أو المجتمع ونوعية مسيرنا، فإذا فهمنا سلوكنا وطورناه حسناً وأفعالا جيدة، قد نتجاوزها في حياتنا، وإذا حلّت فلنكن صابرين أو راضين أو شاكرين حامدين، لا ساخطين لاعنين من أجل تجاوزها.

المصيبة تبدأ كبيرة بالسخط وتكبر أكثر وتتفاعل، وبالصبر عليها تصغر وتتضاءل، وبالرضى تذوب وتسيل على الأرض وبالشكر تتبخر وتتلاشى.

المفـــاهيم

ليست كلمات تنطق بها الألسنة وتتمتم بها الشفاه إنما هي مضامين فيها المعاني تؤثر بشكل أو بصورة مباشرة أو غير مباشرة في السلوك الإنساني وتميّز بين الماديات والمعنويات، ويظهر بعضها إما بجانب بعض أو مضافاً، حيث تعطي جدية جديدة لأي معنى ليصبح فيه مضمون ومعنى جديد.

إن كلمة مفهوم حين الإجابة بها تعني أنك امتلكت معرفة الإجابة على السؤال الذي طرح عليك، وأنك قادر على تحقيق الإجابة بشكل دقيق ونوعي عمّا طرح عليك، من هنا ننطلق معاً لتحديد المفهوم ومنع تداخله مع المفاهيم المخزّنة في العقل كي لا يحدث التداخل، ونعطي إجابات ناقصة أو مختلطة تنعكس على تعاملاتنا وتظهرنا بأننا غير فاهمين للإجابة بشكل صحيح، مما يبعدنا عن التطور والتواصل لذلك ومنه يجب أن ننأى بأنفسنا عن التداخل، ونحاول تملّك المفهوم ونضيفه إلى مفاهيمنا بترتيب نوعي، يجعلنا نجيب ونفعل ضمن حدود المفهوم المطلوب منا فهمه.

نعم إن المفاهيم تتطور وتتبدل فهي واردة في الأساس من الأفكار والقيم التي أنتجت في العقل الإنساني، وتؤثر بصورة

أو بأخرى على سلوكه المرتبط بمفاهيم البيئة المحيطة به والمنجبة له، لذلك معرفة التدفق المعلوماتي والتدقيق فيه ضرورة من ضرورات البحث الدؤوب لتطوير الإنسان والمجتمعات من خلال الاقتناع بأن هناك من يمتلك سوء النوايا بغاية إدخال مفاهيم خبيثة تحد من التطور، وتجلب العار لاحقاً إن تم اعتناقها والأخذ بها فتحديد المفاهيم والعمل على انتقائها بدقة وتطويرها، يعزز شخصية الفرد ويحوله إلى إنسان راقٍ يحمل صورة إيجابية عن مجتمعه ويشير إلى تطوره وتطور مجتمعه.

إن المفاهيم على أنواع نبع وجمع ومضاف ومضاف إليه، وهي جذور وفروع تنطلق من تاريخ وثقافة وخصوصية تمتلك العلمية، وتستفيد من التبادل والتلاقي وتجارب الآخرين، دون إفراط أو تفريط ودون تخلٍ عن القيم والمبادئ السليمة والصحيحة، مع امتلاك مرونة فكرية وسعة في الأفق الإستراتيجي الذي تسعى للوصول إليه، ممتلكة لحقيقة التسلسل المنطقي في رحلة إيجاد الحلول كي يتعزز مفهومها، وتصبح فهما واضحاً بعد التحقيق، تضاف إلى سجل الحقائق مفهوماً ضمن المفاهيم، بالطبع تقاس الأمم والمجتمعات والأفراد من خلال امتلاكها لجملة المفاهيم، وأول المفاهيم: مفهوم فلسفة وجود الإنسان وتكوينه، ومن ثم تاريخه وجغرافيته ودرجة انتمائه وتتوالى المفاهيم لترسم الشخصيات، فالمفاهيم الفيزيائية والكيميائية والرياضية

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومفاهيم الوطن والمواطنة والدفاع عن الأرض والعرض، والإيمان بالحقائق العلمية وفهم المظاهر الطبيعية، والبحث في المسموح والممكن وتحويل الممكن إلى واقع،ورفض المستحيل والخيال اللا واقعي، كل ذلك يولّد حضوراً حقيقياً هو فهم لأسباب الحضور وظروفه وحالاته،كما أن فهم الانحراف والشذوذ عند العاقل ضرورة علمية فيمتلك فهم المقارنة ما بين السالب والموجب، ويستطيع بفهمه أن ينصح ويمنح ويعطي ويمنع ويوجّه إلى مسالك الصح، والابتعاد عن التشدد والتقزم والانحصار والانحباس، وهي مهمة كمفاهيم أن تعيها الأجيال لا جيلاً واحداً بل يجب أن تتوارثها، فهي شخصية من شخصيات المجتمع إن تواجدت فيه تواجد في الحياة.

يجب أن لا تبقى المفاهيم مفردات مسجلة في القواميس والكتب، بل يتحتم العمل على نشرها وإظهارها وتبادلها وتداولها فلا يمكن لشخص يريد أن يقدّم نفسه أو مجتمعه أو أمته التقدم الصحيح، بدون الإلمام والمعرفة بمفاهيم وجوده ووجود مجتمعه وأمته، ولا يمكنه الدفاع عن نفسه وما يمتلكه إن لم يتمتع أيضاً بمفهوم ما يمتلك ويملك من مادة ولا مادة.

إن المفاهيم جمع مفهوم والمفهوم تأكيد للمعلوم، فبعد أن تتعلم تسأل هل فهمت فتجيب نعم فهمت، وكلما عززت علمك فهمت أكثر، فالفهم أعلى درجة من العلم وهو الذي

يسجل عن الآخر فهمك في سجل المفاهيم النوعية الوصفية والموروثة لتأخذ شكلاً وحضوراً تخلد في عالم اللامادي بعد رحيلك من عالم المادي.

الواجب

على كل إنسان فعله، وتعلُّم إنجازه بجودة، فهو شخصية الإنسان وفعل حياته اليومية، نبدأ بحمله منذ اليوم الأول لولوجنا وبداية تكون الوعي في حياتنا ونشأتنا، نتململ منه وأحياناً لا نرغب فيه، وبالرغم من كل ذلك ننجزه تارة كاملاً وتارة ننتقص منه وأحياناً نتناساه أو نتجاهله.
نكبُر فيكبُر معنا ونتطور لنجد أنه يرافقنا، أحياناً ننظر إليه على أنه همٌّ وأحياناً وهمٌ يزعجنا وأحياناً نحبه ويدخل السرور إلى نفوسنا عند النجاح في إنجازه، وهناك من يجعل منه هدفاً يستعد له في مسائه ويضع آليات لتنفيذه، ويدوّنه في جدول أعماله ويعاهد نفسه على تنفيذه في اليوم التالي، ويعتبره من أولى أولويات حياته، وإن الاعتقاد بأن الواجب هو وسيلة الحياة، يدعونا لندخل عليه ونتدارسه بهدف الإضافة وتعميق شرحه وإيضاح ما خفي منه من خلال فهم جوهره عبر صوره المرئية لنا.
نعم الواجب وجب تحقيقه بكونه مطلب لعيش الفرد والأسرة والجماعة والدولة والأمة والأمم، وهو باب تكليف

ملزم بمعنى لزم ويلزم، وإذا تحقق الواجب وجب واستحق له ونال نتيجته، والواجب هو المنجب من خلال اختيار الأفضل للتحقيق دون إهمال الأدنى، أي جدول الأهمية الواجب تحقيقه، كما وأنه طلب المجتمع بعد أن يحقق للفرد حمايته وفرصه في العيش الكريم، وإعطاءه شخصيته وسمته، فما الذي يدعوك للاستيقاظ صباحاً للذهاب إلى عملك، وما الذي يدعوك إلى تنفيذ متطلبات ما تحمله من عقيدة وشريعة ودين، ما الذي يدعوك لتنفيذ مقتضيات العلاقات الإنسانية، وحماية نفسك وأسرتك ومجتمعك وبلدك وأمتك، إنه الواجب وجمعه الواجبات التي ينضوي تحت مفهومها كل ما ذكرناه.

وإذا أردنا أن نحلّل الواجب وندخل إلى جوهره وفلسفة تكوينه، من مظهره بعد أن قرأناه وتعرَّفنا عن قرب على شكله الذي يتكون من سؤال لا بل من أسئلة، الواجب يدعوك للإجابة عليها وهي مدخل بسيط بدأت به حياتك منذ الطفولة المبكرة ومروراً بالشباب والرجولة والكهولة الواجب طبعاً قسمان: الأول ذاتي عفوي يتعلق بشخصية الإنسان يقوم به ويؤديه من خلال جملة الخير المتفوقة في ذاته وعقله، وتشكُّل واقعه على شكل الاستجابة السريعة أمام أي حدث مفاجئ، كأن تلهف لغريق أو تساهم في إخماد حريق، أو تهبَّ لنصرة مظلوم إذا امتلكت المقدرة على نصرته، أو الدفاع عن شرف عملك المسؤول عن كل أنواع شرفك، أو

عندما يناديك الوطن فواجبك ألا تتردد، والثاني نداء وظائف تتعلق بمتطلبات الحياة، كتعليم نفسك طالما أن العلم متاح لك، وحصولك على نتائج ترفعك طالما أن لديك عقلاً قابلاً للتطور، فإذا تطوَّرت هنا يصبح الواجب عليك أن تعطي علمك للآخرين في محيط أسرتك ومجتمعك ووطنك، وواجبك أسرتك التي كوّنتها ومسؤوليتك عنها تقديم الخير إليها والرعاية والعلم قدر استطاعتك ولا مِنّةٌ لك في ذلك، كما عليك إجادة عملك وإتقانه طالما أنك تستلم عنه أجراً هي الإيجارة على واجبك الذي نفَّذت، كما أن رعاية مجتمعك من شارعه إلى كل مكوناته هو الإخلاص الطيب له، فهذا واجبك الذي يجيبك عليه بتكريمك قائلاً: إنك إنسان تعرف مالك وما عليك.

وإن الاعتقاد الذي يجب أن يسود لدى الإنسانية جمعاء، أن الواجب الذي يجب ويوجب امتلاكه هو العلم والحب والمعرفة للذات البشرية ولمحيطها الموجود، ولواجدها الأزلي، وفهم هذه العلاقة التي تحمل المعادلات المنطقية ليس لها علاقة بالغيبيات، بل هي محققة تعايش وتعاصر الواقع، وفهم هذه الواجبات هو الأساس في عملية التكوين الإنساني، فهم للارتقاء بك أيها الإنسان، فإذا أردت الانتقال درجة وربما درجات ينبغي عليك أن تؤدي الواجب فإذا امتلكته وعلِمته صغُرت أمامك الواجبات، وتصبح وتمسي مرناً سهلاً أميناً ومؤمناً، ترتاح نفسك فيرتاح الضمير الذي بناك لأجله،

ويسكن فيك بسعادة، إنه الإخلاص أي النتيجة التي تكتب في نهاية الواجب أنك حصلت على علامة النجاح.

الوجـــــدان

صورة إنسانية تتناغم وتتداخل مع جملة الأحاسيس لتلجم الغرائز، متفاعلة مع الوعي محولة إياها إلى استشعار وشعور ومشاعر مترفعة عن فائض الحاجات العضوية، ساعية للانخراط في الهم المجتمعي من خلال زيادة رقة الشعور والإحساس بالآخر، فيظهر شكل الوجدان ويطلق على الإنسان أنه وجداني والوجدان يقترب كثيراً من الحقوق العامة ويسهم فيها مترفعاً عن الحقوق الشخصية، وأحياناً كثيرة يعطي صاحب الوجدان من حقوقه بإرادته.

والوجدان جملة أخلاقية يمتلك من العقل، وشكله الحكمة التي تسيطر على الغرائز وترسم مسارات عاقلة للمشاعر، وتعريف الوجدان في اللغة: مِن وَجَدَ وِجدَّة ووجده أي أدركه ونال مطلبه على وجه حق، بعد أن أعطى حقوق الآخرين ونال رضاهم، فأخذ شكل الإنسان الوجداني المتمتع بالطاقة الحيوية، وله مشاعر بكل انفعالاتها وقوتها تعطيه هذا الاسم الذي يمنع به تطور الحاجات العضوية والفهم الغريزي، فلا تجعله نهماً ولا شبقاً ولا متسلطاً.

كما أن الوجدان من وجود الحس الذي يتحرك بواسطة

الحواس الخمس، زائد الحاسة العاقلة والحاسة الناطقة حيث تحس وتتلمس طعمه ونعومته وخشونته، وتنفعل وتتفاعل مع ما تجده متفوقة بالروح السامية على النفس التي تأمر بالسوء وتدفع بها إلى سجنها، ودائماً تشكلها في محاولات انفلاتها، وإذا ما انفلت الوجدان أوجد الاضطراب محوّلاً إياه إلى حالة مَرَضية تنعكس سلباً على شخصه وأسرته ومجتمعه، مما يستوجب علاجه ومراقبته فهو أيضا يعيش في المزاج ومن المهم أن يكون المزاج متزناً.

إن قراءة المفهوم الوجداني تأخذ بنا إلى ضرورة البحث فيه، حيث أننا نجده تارة مزاجاً كامناً بين الشعور والفكر، وتارة تأملاً ومحاكمةً للذات وفلسفتها القابعة في أعماقها وأبعاد الشعور واللاشعور، وأحياناً ندخل عليه فنراه فيضاً روحياً متنقلاً بين الشعور والعواطف، وهو أيضاً كل ذلك النفس حين تتخلى عن فعل الأمر بالسوء فتتجسد فيها الحياة الكونية الممتلئة بالإنسان الإنساني.

أنا أؤكد أنه أي الوجدان هو الإنسانية التي خلقت به ليكون إنساناً لا بشراً، وهذه الصفة تعطيه قيم الاختلاف والتمايز والتفرد فيظهر بوجدانيته وجداناً.

إن علاقة الوجدان بالعقل علاقة تعلُّق وفعل ورد فعل، فبالتعلق يحدث التخلق الذي يؤدي إلى الأخلاق التي هي صورة وجدانية من صور الإنسان، وربط الصلة بينهما وتعزيزها يعني تنمية الفكر الوجداني والتفكر والتأمل أمام

الفعل الاندفاعي اللا عقلي الذي يذهب بصاحبه وحامله إلى الهاوية.

من هذا كله نقول: إن الوجدان ملكة من ملكات الإنسانية، تتطور وتسمو بفعل المحيط الإيجابي، وتخبو وتندثر أيضاً من خلال المحيط السلبي، وإن العمل على إظهارها وتعزيزها وربطها بالعقل من خلال زرع الحكمة التي يجب أن تتملكها، تعطي إنسانا محترفاً يقودها لا تقوده، ويحدث في المجتمع ثورة وجدانية لها علاقة كبيرة بالحب للأرض والإنسان وكل مكونات الحياة.

إنني أدعوكم للبحث في موجوداتكم داخل تكوينكم الجسدي عن وجدانكم فضرورة إيجاده من ضرورة وجودكم الحي، ويجب عليكم أن تجدوه لأنه موجود من اسمه، وما إن تعثروا عليه تمسكوا به وادرسوا أين أنتم منه، وراجعوا علاقاتكم الإنسانية فيما بينكم، ولمجرد أن تفعلوا هذا تعلمون أنه موجود وابدؤوا حالاً في تطويره وإظهاره وتفعيله، فنكون بذلك وجدانيين أخلاقيين بحق بعضنا بعضاً وأنفسنا والآخرين.

المدح والذم

التأمل والتدقيق في أي عمل مادي أولا مادي منجز، تشاهده العين أمامها قراءة أو حركة أو ثباتاً، تخلق فيها مباشرة

إشارة التعجب، وهذه الإشارة تنطوي على معنيين فوراً، إما تندفع نحو التعبير عن الإعجاب ويؤدي إلى المديح، أو إلى الاستغراب والنفور فيكون الذم له.

كما أن توفّر أدوات المدح مثل نعم وحبذا وصح، وجيد وأحسنت وممتاز، إضافة لتعزيز لغة الحب والاحترام تعطي الشخص الفاعل إشباعاً ورضاءً في محور الجوع العاطفي، لنحصل منه على زيادة وتطوير وتلبية لما يحتاج الفعل أو العمل لوجوده، وتحريك في المشاعر فيزداد الحب والانتماء للشيء، كما أن المديح بأدواته يحوّل الجسد الضعيف إلى قوة، والقلب الخائف إلى سكينة، والأعصاب المتوترة إلى هادئة ثابتة والشعور بالنقص إلى كفاية، إنه في المختصر يسد الفجوات ويملؤها بالعطاء المضاف فيضاً.

لندقق وندخل إلى الحياة الواقعية، فنرى أن جميع المخلوقات تشعر بالصحة والطاقة بمجرد إحساسها بأنك تُربّت على جسمها بلطف وتكرمها، وكأنها تشعر بك تمدحها وتثني عليها، فيزداد أمانها وتعطي أفضل ما عندها صداقة ووفاءً، والأطفال أيضاً يتألقون ويزدادون فرحاً وسروراً ونشاطاً وحبوراً نفرح بهم، ويكون ذلك نتاج المديح والثناء عليهم، ألا ننتشي ونسعد عند سماعنا للمديح ونتبادله مع بعضنا؟ ألا يتحسن الأداء ويزداد الانتاج كمّاً ونوعاً ويمنحنا الثقة والحماسة؟ ومن ثم يدفعنا للاستقرار والاستمرار بشكل أفضل في أعمالنا، لا ننسى أنَّ الثناء يجب أن يتمتع بالصدق

والجدية، وان يُمنَح لمن يستحقه، وأن تكون غايته الحفاظ على الألق ودافعة للتألق والارتقاء، والتطور الأخلاقي والاجتماعي والعلمي بكل فروعه، وأن يبتعد عن المصالح الدنيوية آملا تحقيق الأفضل واستنباطه من الإنسان من أجل زيادة إنسانيته، لنحذر دائماً التملّق بكونه سرعان ما ينكشف، كما أن الانتباه لعدم إلغاء الآخر مهما كانت مكانته، وإثابته على فعل قام به هو من الضرورة بمكان، فلا ازدراء ولا انتقاص بل إعطاء كل ذي حق حقه هو المديح بعينه.

أما الذم والقدح فهما فعلان حقيران، الأول: أن تنسب لإنسان فعلاً معيّناً مشيناً لم يقم هو به، أو تنال من سمعته وكرامته وشرفه وهو براء، والثاني توجيه الشتائم والانتقاص من قدر إنسان، وهما فعلان يعاقب عليهما القانون ويجب أن يعاقب كل فاعل لفعل كهذا، وأدوات هذين الفعلين هي: بئس، وخيانة، وكذاب، ولا حبذا، وقبيح، وخبيث، ومنافق وضعيف، والذم نوعان: ذم النفس وهو محبّب كي يلجمها ويزيل مساوئها ويخلصها من شوائبها، فتتقوّم، وذم الناس وهو مرفوض ممنوع محرّم ينُمُّ عن شخصية سيئة ولو نجحت أو تسلَّطت سرعان ما يذهب النجاح الوهمي والتسلط فيقعد حزيناً مهموماً، لا مغيث ولا معين ولا منجد، ولا منقذ ولا صديق ولا قريب، بكونه انكشف فأصبح هو المذموم المكروه. لقد صاغ العرب لأفعال الذم والمدح تعابير لا تخلو من التعجب وتم جمعها مابين (نعم وبئس) وساء وأساء وحبذا

ويا حبذا للمديح والتقرب والإبعاد والانتقاص، ولكن ينبغي علينا إن فهمنا ما نريد في أي عملية تطوير بدءاً من الإنسان ومروراً بالمادة والحيوان والنبات، ووصولاً إلى فهم الحياة، أن نتعامل معها بواقعية الموقف وما يقتضيه، إن عملية المديح بشكل عام تحمل في طياتها رؤيا جميلة تمنح الإنسان السعادة، وبكونها كذلك فهي مطلبية ضمن شروط تحقيق معادلتها، كما أن الذم عملية هدامة تدعونا للتخلص منها وإبعادها، بكونها عملية في نهايتها حاقدة تنشئ الضغينة، وتطوّرها وتزيد من عامل تطوير الإجرام، إن المدح والذم مقترنان باللسان فكيف نوجهه يتجه، فأطيب الكلام الحب والثناء والمديح، وأكرهه الذم والقدحِ، أما التعزير والتأنيب لاستنهاض الضمير فهو محكوم ضمن القوانين والأنظمة التي تسعى للحفاظ على الإنسان ومقدرات الحياة، نعم من باب المديح لنتأمل في علاقاتنا وادياتنا وأفعالنا، ولنبدأ بأنفسنا فنحاسبها إما مادحين أو معزّرين أو مؤنبين، فهذا هو المديح بذاته، وألا نمدح أنفسنا في العلن بل ندع الآخر هو الذي يقدّم الثناء والمديح على أفعالنا الجيدة عند تحقيقها.

النقـــد

إنه حالة تصحيح وتوجيه إلى المسار المستقيم وإلى استكمال النقص في الشكل المادي واللامادي كي يبدو سليماً واضحاً

لا لبس فيه، كما أنه عين الخبير المتخصص المتمتع بالعلم بالشيء المراد توجيه النقد إليه، أو إجراء حالة نقدية عليه والناقد يجب أن يكون ذواقاً عارفاً يستمتع بنقده لمعرفته بالشيء، وغايته التصحيح لا لوم العذول أو حاملاً لحسد أو حقد أو غاية كيدية، وأن لا ينحاز أو يجور أو يتعصب ولا يفرّط ولا ينتقص من قيمة الشيء.

النقد له صورة من صور الوعظ ولكن ليس هو حقيقته ولا شكله، فغاية توجهه إلى الجزء السلبي من الشيء يجب أن لا ينفي ذكر الإيجابي وإيضاحه ليتم بعده إظهار السلبي وتقبله بغاية زيادة الإيجابي، من هنا نهيئ مدخلاً للنقد يحمل سمة الحقيقة الواجب الوصول إليها، وهي الارتقاء بالشكل أو الأمر إلى الحالة الإيجابية قدر الإمكان إن لم نستطع الوصول إلى المثالية. فعندما نحترم الإيجابيات ونقدّرها نستطيع أن نتقدم مع من نقوم بنقده للبحث في نسب الخلل براحة ومحبة، ويكون التقبل للنقد موضوعياً.

إن منح الطرف الآخر المراد نقده حرية الدفاع عن فعله وقول ما في نفسه، والإصغاء بشكل هادئ لما يقوله ومحاكمة أقواله ومن ثم التوجه إلى إظهار موقع الخلل، ينشئ علاقة وجدانية تقرّب وجهات النظر لجهة الاقتناع بأن ما ينتقد به هو واقع فعله أو قوله، ويسارع إلى استدراكه وإصلاح ما وقع فيه أو تقدّم له الخبرة الناصحة لتحقيق ذلك.

ليست غاية النقد تعميق الجراح بل العمل على التآمها،

ولا يجب أن يعزّز الخطأ بل يصلحه، ولا آليته انجاز فعل اللوم بل خلق الإبداع وتهيئة الظروف لاستمراره، فمن منا لم يوجه له في حياته نقد، وأياً كان شكله فكلنا تعرضنا للنقد وربما ننتقد في كثير من الأحيان، وعلى الكثير من أعمالنا وإنجازاتنا، فكيف نتعلم تقبّله وما هي صوره وأشكاله، ومتى وأين يجب أن نطرحه، ولمن نوجهه، إن النقد يختص فقط بالإنسان ونتاجه المادي واللامادي أي بمعنى أن يتم توجيهه إلى الشكل الإنساني في المظهر ونتاجه المادي أدواته وأشياؤه وصناعته وزراعته، واللامادي الأدبي والمعنوي والروحي المجموع في كتاب علماً أو أدبا أو شعراً، أو في حديثه وحواره ودرجات امتلائه من بحور المعرفة، وتشدده أو ليونته ومنطقيته في كلامه وابتعاده عنها، وهل هو امتلاء أم فراغ، كما يوجه النقد إلى قوة الفعل أو ضعفه وفي أشكاله وأجناسه اللغوية وتصرفاته وحركاته والنقد ليس فلسفة ولا يدخل في أبوابها بكونه يدخل عليها ليهذبها ويشذبها إنه أي النقد حالة معرفية تخصصية علاقته علاقة بصيرة زائد بصر، تنظر الفعل فترى الخلل فتتقدم إليه لتنبهه عن وجوده وضرورة إصلاحه، وتحويله إلى علم ضرورة كضرورة وجود المتذوق الخبير، وليس بالضروري للناقد الأدبي كمثال في الشعر أن يكون شاعراً، ولكن ضروري جداً أن يعرف قواعده وأصنافه، كما أن الناقد الموسيقي قد لا يعرف العزف ولكن يعرف سلالمه

وطبقاته وتنقلاته ما بين الصبا والنهوند والرصد، كمثال آخر فإن الناقد يشبه متذوق الطعام لا يعرف أن يطهوه ولكنه هو الذي يحكم إن كان لذيذاً طيباً أو مرفوضاً.

إن للنقد أسساً ومبادئ وقيماً تعطيه قوة وجود نجاحه وضرورة بقائه، فالنزاهة والإنصاف والابتعاد عن العواطف والمسير بخطوات تسلسل ونقد البحث بموضعية وفهم وعدم الانحياز والكيل بشكل دقيق، يكون الناقد فيه عين الميزان ويؤدي لنجاح عملية النقد بشكل إيجابي وإلا فالناقد بحاجة إن لم يتمتع بذلك، إلى نقد فيخرج من عملية التطوير ويدخل في عملية المسايرة التي تؤدي إلى التخلف والبقاء مراوحة في المكان، ويؤدي إلى الإحباط ونشوء الضغينة والكراهية.

النقد حالة نظرية يمتلك عدة مشارب علمية وأدبية واجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية، ويمتلك تخصصات في كل مذهب ومشرب، غايته الأساس هو تطوير الفرد الإنسان الذي هو عماد المجتمعات، وإني لأعتقد أن نقد الذات وتعلّم نقدها أولاً يطور الإنسان في النقد البناء، الذي يسهم في تطوير المحيط الإنساني المادي واللامادي إن تعلّم النقد بدون انفعال واستقباله وتفهّمه والنظر فيه والاعتراف بأنه فعلاً حالة ضرورية، تساعدنا في لحظات الغفلة عن أخطائنا وزلاتنا وهفواتنا غير المقصودة والتي حصلت في سياق حالة إنجاز الفعل، يلتقي مع النقد الذاتي

ويصلح الخطأ غير المنظور من قبل الفاعل أو المنجز أو المتحدث في أمر ما أو شيء ما، إنّ النقد هو علم تذوّق الأفعال، والناقد هو ذاك الذي يستطيع أن يضيف إلى الجمال جمالاً وهو الذي يتذوق الجمال فيحس به عفوياً، يهذبه ويعمل على إظهاره متكاملاً مصححاً نسب الخطأ بعلمه ومعرفته وذوقه.

التأخر تخلُّف

في النظر إليه توقُّفٌ ينشأ عن عُطل في حركة المسير يوقف الزمن ولا يواكبه، وشكله الابتعاد عن الركب السائر إلى الهدف بغاية الوصول في الوقت المحدد، وهو أيضاً الاستراحة في وقت يتطلب فيه الإنتاج العمل السريع، كما أنه التناسي والنسيان نتيجة لعدم تنشيط الذهنية وتعويدها على رسم برامج واضحة المعالم والأهداف، كما أنه عدم المقدرة على فهم المواكبة الحضارية للتواصل مع الآخر، ومجاراته من خلال بطء الأداء وعدم الإنجاز في المدد الزمنية المحددة خارج إطار الظروف القاهرة، كل هذا ينتج شكلاً متأخراً ينظر إليه على أنه تخلُّف بكونه اختلف وتأخر في حركة المسير، كما أن الابتعاد عن أفكار الانتقال الآمن والبطيء مثل نظرية الدرج الحجري والسلم الخشبي بوجود المصاعد الكهربائية، والتحكم عن بعد من

أجل المشاركة والوصول السريع بعيداً عن الإرهاق وضياع التنفس، والتمسك بهكذا عقلية يشير إلى تأخر وتخلّف كبيرين .

إن اختلاق حجج نقص الأدوات، وعدم توفر الإمكانات وضرورة توفير كامل المتطلبات، والانتظار دون عمل حتى تكتمل لنبدأ، هو التأخر بعينه، فالنسَّاجة الماهرة تنسج على ذيل الهرة، وإن اعتماد نظرية (من الأفضل أن لا تصل على أن تصل متأخراً) لهو التطور بذاته، فالحث على فهم هذا المبدأ والأخذ به من أجل الإسراع وفهم حقيقة التطور، من خلال فهم الواقع الذي نحن فيه، ومعالجة الوضع المتأخر والمرسوم لنا أن نبقى فيه، وبقاء عقلية الوصول المتأخر أفضل من عدم الوصول، ووقوعنا في خانة قبول البطء وعدم تسريع الحدث، والانتظار حتى تنجلي الأمور لنكون دائماً مرهقين متعبين، نبحث عن أماكن للجلوس فلا نجد فأين نجلس إذا اكتمل النصاب، طبعاً سنجلس في الخلف والخلف تأخر، وإذا وصلنا من سيستقبلنا فكلٌّ حضَرَ وتحضَّر وأحضَر ما لديه، وحكى وأدلى بدلوه ورمى وأصاب من خلال عرض ما لديه، وتمت المشاهدة بينما المتأخر مبتعد عن كل ذلك، ولكي يفهم ماذا جرى عليهم أن يعيدوا له ولا وقت لديهم ومن سيفهمه، ومن لديه الوقت ليجلس معه ويعيد عليه ما جرى وسيجري ليدعه في حيرة، فتكبر وتعظم الأمور في فكره ويشعر أنه قد تأخر وكان من الواجب أن

يصل في وقته المحدد ليجد له مكاناً.
التأخر تخلّف بحد ذاته، لننظر إلى الأمم التي تعيش على سطح الكرة الأرضية ولندقق فنجد أن الزمن واحد نعيشه جميعاً، ولكن الفرق الزمني هو فرق الإنجاز، فما أنجز في زمن الآخر لم ينجز في زمننا، وهذا يعني أن الساعة بيد كل واحد منا، ولكن كم تنجز في ساعتك، وكم ينجز هو في ساعته، على الرغم من أن الساعة ستون دقيقة معك ومعه ومعي، فكم أنجزت أنت وكم أنجز هو وماذا أنجزت أنا لنقيس الإنجاز بيننا فنعلم كم التقدم وكم التأخر بيننا.
كيف تعرف أنه متقدم أو متخلف، هي نظرة إلى الأمام والخلف واليمين واليسار، وإلى الأعلى وإلى الأسفل فتعرف من خلال هذه النظرات أنك في الوراء أو في المقدمة، أو أنك على ارتفاع أو في الهاوية، وأنك واقف أو ضمن حركة المسير، هكذا هي قضايا التخلف والتقدم تكون نتاج التأخر أو السرعة، فإذا علمت معنى التأخر وأخذت قرار تجاوزه، انتقلت إلى التقدم فلا تكون متخلفاً، وشرط كل هذا أن تتحرك وتتحرر من عقدة أنك متأخر ومتخلف، فإذا تفكّرت علمت، وإذا علمت عملت، وإذا عملت تخطئ وتصيب وتحاول وتنظر في أسباب الخطأ والصواب، وتدخل بذلك إلى سلّم الصعود فيشار إليك بأنك تتقدم وهذه أولى درجات تجاوز التخلف الناتج عن التأخر.

التأخر استجداء

إنه سلوك كسبي يأتي من محيط غير واعٍ أو غير مسؤول، ويتولد عند حدوث الفلتان الناظم لعمليةً ترتيب التنظيم الاجتماعي، والذي يتنشأ عنه صيغ عدم الاهتمام، تتحول إلى طبع ومرض يتأذى منه الأفراد في المجتمع، ليعكس صوراً سلبية له علاقة بالتطور والتقدم، فمثلاً عندما لا تستطيع اللحاق بالركب وحدوث مسافة بينك وبين المقدمة، يحل بك التعب والملل من المتابعة، ويكون هذا نتيجة لعدم فهم حركة المسير إلى الأمام، والاستعداد له والجهد في تقدير احتياجات المواكبة لتصبح متأخراً، وإن التأخر عن العمل وعن اللقاء في المواقيت المحددة والموَقّتة أصلاً من قبلك أو من قبل الآخرين، والتي تتعلق بشؤونك أو ترتبط مع مصالح الآخرين، يحرجك ويدخلك في متاهات البحث عن التبرير واختلاق الأعذار، وكسر نفسك أمام الآخرين في موقف استجداء الغفران وطلب التسامح والمسامحة، وهذا يؤدي لرسم صور سلبية وإظهار شخصية المتأخر، على أنه غير قادر على فهم مسألة المواكبة والترافق وتحقيق المساواة والتوازن للقاء والفعل والتفاعل.

ان وضع إشارات الاستفهام والأسئلة حول المتأخر، يحوّله

إلى شخصية مبهمة بكونه لن يستطيع تحقيق غاية المسير والوصول مع الواصلين أو إلى المنتظرين، وحدوث الملل والتململ من قبل المنتظر للمتأخر يدعوه للمغادرة، وتتكون أسوأ صورة في عقل المنتظر عن المتأخر أو المفترض أن يصل ليدخل في عالم تحليل أسباب التأخر، وبعد أن يجد له الأسباب القاهرة التي حالت دون وصوله، فإذا اكتشف عكس ذلك وعرف أنها ناتجة عن عدم فهم وتقدير لموضوع اللقاء أو الوصول له، أو عن عدم قناعة بالوقت الذي لا قيمة له عند المتأخر أو عدم المقدرة على مجاراته للأمور أو الخوف منها، تتأكد القناعة وتتوثق بان المتأخر شخصية سلبية وإصلاحها لا يتم بزيادة الانتظار، إن التأخر مرض ودخوله على فرد إنسان أو مجتمع أو دولة، وعدم مكافحته يؤدي إلى استفحال هذا المرض والدخول في عالم التأخر، وعدم مواكبة التسارع الحاصل كما أن الانشغال بالمتأخر يؤخر فيضاعف التأخر، ولذلك يتم تجاوز المتأخر، لمتابعة التقدم، فمن حضر القسمة يقتسم ويصيبه نصيب، ومن حضر السوق باع واشترى، ومن حضر العلم تعلَّم وعلَّم وأنجز وتقدّم، ومن حضر الوليمة أكل وشرب وشبع، ومن وصل إلى المقدمة تُوِّجَ أو تَوَّجَ، ومن صعد ظهر ولاح وبان ورأى من تقدّم معه أو وصل خلفه فَأكْرَمَ وأُكرِمَ فأين المتأخر والمتأخرون من كل ذلك.

التأخر معناه البقاء وحيداً، أي أن تصل متأخراً فلا تجد

من ينتظرك، وإذا وجدت تجد التجهم والانزعاج بعد أن تكون الشتائم والسباب والكراهية اعتلت الوجوه وخرجت من الشفاه، فقضاء الحاجات وتأمين الاحتياجات في أوقاتها المحددة دليل رقي وتحضر، فاللهفة والمساعدة وإنجاز المطلوب وفهم الطلب والاستعداد الجيد من خلال درس إمكانات تحقيق الطلب، يعني أننا انتقلنا إلى الأفضل ولم نعد نتأخر، فإذا تأخرنا نضطر للاستجداء وطلب العون وقد لا نجد المعين، فمن يمتلك الكرامة لا يستجدي بمعنى أنه لا يتأخر، ومن لا يتأخر يكون على مسار التقدم، وطبيعي أن يحصل على حقه في الوجود بكونه وصل مع الواصلين فهو إذاً موجود وسُجّل في سجل الحاضرين.

إذاً كيلا تستجدي لا تتأخر، وكي لا تضطر للكذب لا تتأخر، وكي تكون متحضراً وحضارياً ومتعلماً وفهيماً بالرغم من حصولك على العلم وشهاداته لا تتأخر، كي لا تمتهن كرامتك لا تتأخر، وكي لا ينظر الناس إليك بازدراء وعدم الاكتراث بك لا تتأخر، وكي لا تؤخر التطور ودوران العجلة الاقتصادية، كي تكون إنساناً تحترم أخاك الإنسان وتتبادل معه الاحترام لا تتأخر. لا تتأخر فأنا أنتظرك.

الوظيفـــة

كلنا موظف على كوكبنا الأرضي، وما نقوم به من أشغال في

حياتنا هو الوظيفة التي توكل إلينا من خلال التكاليف والتعيينات بسبب وجودنا على هذه الأرض، فالوظيفة ليست الواجب بل هي مجموعة الواجبات التي علينا أن نؤديها، والمسؤوليات المطلوب منا عملها والمهام التي نحملها على كاهلنا.

فأنت بمفردك موظف وأنا موظف وهو كذلك أيضاً، ومنذ دخولنا إلى هذه الحياة تبدأ وظيفتنا ولا تنتهي إلا مع نهايتنا، وتكون أكبر وظيفة يقوم بها الإنسان، ومنها يستلم مسؤوليات جدّ هامة ولا تعدلها أي وظيفة، حيث تصغر كل الوظائف دونها، ولها مطالب وجدول مهام على جدول الحياة، عليه أن يمر بها وينهيها، وكل فرد يقوم بها وإلا آل إلى السقوط، فهي التي تعطينا الشخصية والهوية والصورة والفعل والأداء الإنساني، وتدفعنا مهيئة إيانا للقيام بباقي الوظائف التي تتقدم إلينا ونتقدم إليها، مع كل تقدم في عمرنا الموظفون عنده ليوظفنا في الحياة.

إن فهمنا للوظيفة الكبرى يعتبر فهماً للحياة ضمن الحياة بما لها وما عليها من متطلبات ومهام ومسؤوليات وواجبات، فكيف أنت موظف في هذه الحياة عند حياتك، وبمعنى أدق أنت موظفٌ مع شخصك ضمن ذاتك، مسؤول عن روحك والحفاظ عليها، وعليك يومياً أن تقدّم الخدمات والحلول وتعالج شؤون جسدك بالحوار، وتصدر الأوامر من عقلك، وأول ما تقوم به هو وظيفة الاستيقاظ والنشاط والطعام

والنظافة وتحسين شكلك وتهيئة ما ستقوم به في يومك، هذه الوظيفة تريك كيف ستبدأ يومك وبدونها لا يوم لك، ومعها تتحول إلى إنسان طبيعي تنطلق من خليتك الأولى المفردة، لتبدأ في البحث والتكاثر، وتكوين أسرة ومدرسة ومجتمع وأرض، وعمل ودولة وأمة تنجب لك الوظائف اللاحقة التي تنضوي كلها تحت الوظيفة الكبرى وهي حياتك في الحياة. عندما تتحول في حياتك لتنظيم إداري، تتوظف في الأسرة ومن ثم تأتيك الوظيفة الاجتماعية، ومتطلباتها: حسن إدارتك للعلاقات العامة والخاصة التي إن أخطأت لا تستثنيك من أن تلفظك، وتطردك منها إن أخللت بقواعدها ولذلك من وظائفك وظيفة الحفاظ على الحالة الاجتماعية، وإسهامك فيها يعني أنك إنسان مدني تحمل شكل المدنية، هذه الوظيفة تأتي بالمرتبة الثانية ولها علاقة هامة مع الوظيفة الأولى، بكونها استمرار حياتك التي أطلق عليها مجتمعات مدنية، ويقع تحت هذا المسمى كل الوظائف المؤقتة القيادة أو العامة التجارية الصناعية الفنية المساعدة أو المعاونة، ومهما بلغت مجموعات الوظائف إبداعية علمية، خدمية مستقلة أو منضوية تحت لواء مجموعة أو مجموعات، تحمل صفات مادية بكونها تحصل مقابل هذه الوظائف على أجر، ولها أجور تقاس بمقدار ما تتقدم في شكلك المادي المتحرك والفاعل ضمن تطورك العقلي.

إذاً الوظيفة قسمان: الأول حياتي اجتماعي، والثاني مادي

له علاقة بخدمات الحياة وتطوراتها، ينعكس على القسم الأول بحكم إنتاجه للمادة، ويعود الأول بإدراكه وحسه الروحي والعقلي للحياة وضرورة وجوده فيها يخدمها بوظائفه فتعطيه ارتقاءً وسمواً على سلم درجاتها، وتكافئه بمقدار ما يبذل من جهد وتفاعل وإخلاص لجملة وظائفه و واجباتها، ومسؤولياتها وحسن إدارتها، لتأخذ به من خلال تقديمها إلى الأعلى أو إلى الأدنى.

ووظيفتك الكبرى هي حياتك منذ الولادة إلى الرحيل أما وظيفتك الصغرى فهي يومك وما فيه، تبدأ مع إشراقة صباحك وتنتهي حين استسلامك للنوم، السؤال هل نجيد وظيفتنا الكبرى كي نكسب الأجر الروحي السامي، وهل نجيد وظائفنا الصغيرة اليومية التي نتقاضى عنها الأجور المادية،ويحاسب بعضنا بعضاً في النجاح والفشل هي الوظيفة وجزء من وظائفي المتعددة، وظيفة أن أكتب عن الوظيفة محاولاً فهمها.

أسئلة تحتاج لإجابات

- أين أنت الآن؟ اسأل نفسك، أرجو أن تفعل ذلك بسرعة قبل أن يفوتك الأوان .
- كم هو عمرك في هذه اللحظة ؟
- ما هو تحصيلك العلمي؟ وأي عقيدة تملك؟ وما هو

الفرق بين النظرية والتطبيق؟
- هل أنت شاب، كهل، مسن؟
- صبية شابة، أنثى، امرأة؟
- كيف تنظر إلى الأمام؟ ماذا تريد منه؟
- هل عرفت أين أنت الآن؟
- هل تنظر إلى الخلف لتعرف ما ذا فعلت؟
- كم هو الإيجابي الذي أنجزته؟ وما هو السلبي الذي اقترفته؟
- هل تحاسب ذاتك؟ أم ذاتك هي التي تحاسبك؟ أم أن هناك من يراقبك ليحاسبك؟
- كيف ستكمل ما تبقّى لك من الزمن؟ كم بقي لك؟
- هل تسير إلى هدفك؟ هل تخطط له؟ هل تؤمن بالتطور وتسعى له؟
- هل ترتجل الخطوات؟
- هل تعيش ليومك؟ هل ظَلَمتَ؟ هل ظُلِمتَ؟
- هل تعيش من أجل الآخر؟
- هل أنت فاعل أم منفعل؟ ما هي حريتك؟ هل أنت حر؟
- هل أنت مُراقِب؟ هل أنت مشارك؟
- هل أنت تدري ما يحيط بك أو لا تدري بكونك محاطاً؟
- هل تعرف الحب؟ هل تكره؟ هل لديك حبيب؟ هل

تحب الصدق؟

- هل أدركته هل أنت راضٍ؟ أم ترفض أي شيء؟ لماذا؟
- هل أنت أناني انعزالي، ضد تقديم الخير للآخر؟
- هل أنت تشاركيٌّ اجتماعي؟
- لماذا تبتسم ولمن؟
- ما هو الذي يزعجك؟
- كيف تمضي وقتك؟
- هل أنت تعِب؟
- هل تريد أن تبني أسرة؟
- هل لديك أسرة؟ أنت ربُّها أم أنت جزء منها؟ وهل تنتمي إليها؟
- ما هي متطلباتها؟
- كيف تتدبر أمرها؟ ما هو نوع عملك؟ هل تحبه؟
- كيف تنظر إلى منزلك مدينتك ووطنك؟
- ما هو نوع مشاركتك في كل ذلك؟
- هل بحثت في درجات انتمائك؟
- كيف تنظر إلى العالم؟ وما هي نظرتك للعلم والتطور؟
- بماذا تحلم وهل لديك حلم؟
- هل تسعى لتحقيقه؟
- أم هل سيبقى حلماً؟ من أنت ولِمَ أنت موجود؟
- أجب من فضلك على أسئلتك.

الموسيقا

لغة الحياة التي بدونها لا حياة فالإنسان والحيوان والنبات تتناغم معها وتفهمها لذلك الجميع يستمع إليها لماذا هي كذلك، نسأل بعضنا نحن جنس الإنسان بكوننا الوحيدين في هذه الحياة نمتلك لغة الحوار دون باقي الخلائق والأقدر على تحليلها والتناغم معها مع أن العلم أثبت تفاعل النبات معها، وتراقص الحيوان وتهدئه وتزيد عطاءه حين سماعها، وإذا دققنا في كلمة موسيقا نجدها كلمة عالمية ففي كل لغات العالم ميوزك فهي كلمة روحية جمعت في سلم موسيقي عدد درجاته سبعة لتتناغم مع عدد الروح المتكون أيضاً من السبعة ودخولها على اللغات وتربعها قمة صفاء الحياة، وحصولها على لقب اللغة الرقيقة الوحيدة العالمية التي تحتاج الأذن فقط بكونها مجموعة صوت وطبقات صوتية لتريحك وتسعدك وتهدئ من روعك وتأخذ بيدك محلقاً متأملاً شارداً في عشقية خاصة من مبدأ والأذن تعشق قبل العين أحياناً.

طبعاً هي فن وصورة ذات غاية مثلى فيها اكتمال الحياة الكونية تتألف من الصوت والسكون، وهي طبيعةٌ روحية مثل أصوات العصافير، وخرير المياه، وأزيز النار، وحفيف

الأشجار، وصهيل الخيل، وأصوات الرياح، وكل ما في الطبيعة الروحية ومقلدة إبداعية صنعية يقدمها ويبدعها الإنسان يستخدم فيها صوته ويديه عبر آلات نفخية، أو قرعية، أو بواسطة الأنامل، وهي تحتاج موهبه وطاقة روحية خاصة وتجانساً مابين الروح والصوت بطبقاته والأنامل لتتحول الموسيقا رويداً رويداً إلى علم، نظراً لتنوع أدواته وظهور الأجهزة المتطورة التي تتحكم به، فغدت لها المعاهد والجامعات واهتمت بها المجتمعات ودخلت في الشكل الحضاري الذي تقاس به الأمم.

إن الانجاز الإبداعي الخارق الذي تم من الخالق الأزلي الكامل والذي دعانا كما دعا الجميع للتأمل في دقته وصورته اللا متناهية في الدقة لنبحث في الكمال محاولين أن نقلد كماله كل في محور تأمل خلقه كان الانتباه إلى الموسيقا الطبيعية لتأخذها عين المتأمل وتبدع منها تقليداً قد يصل أحياناً في دقته إلى الكمال بكون عازفه أو مصدره روح الإنسان المخلوق على التمام.

الموسيقا حاجة ضرورية للإنسان وجزء أساسي مكون من مكونات طبيعة الحياة، وعندما أدعو وأحلل في مقاربة بين الإنسان والطبيعة وحاجة الإنسان للموسيقا كحاجة الطبيعة إليها أقول: لا يمكن أن تكون الطبيعة صامتة وإلا لكان الإنسان كذلك، ولكانت الحياة أبيض وأسود باهتة مملة، وكلنا عالم أصم أطرش أبكم لا فهم لنا ولا معنى

لها، لذلك كانت هذه المقاربة محولة الصورة الطبيعية إلى صورة إنسانية أبدعها الإنسان وأصبحت شكلاً ثقافياً إن لم يستطع أن ينجزه فينبغي عليه التفاعل معه وتذوقه ومن هذا الذي أؤكد عليه بأن الموسيقا حاجة إنسانية وشخصية ثقافية يتمتع بها أفراد ومجتمعات وأمم أخذوا رويداً رويداً يتنافسون فيها إجادة وبراعة وأحيانا حصراً بغاية إمتاع شعوبهم والشعوب الأخرى وإظهار التفوق والرقي والتحضر من خلال فهمهم وامتيازهم بأدائها جعلت الأمم تعود وتبحث في موروثها عن عاداتها وتقاليدها وموسيقاها الخاصة بها والحفاظ عليها مثل الحفاظ على أوابدها، وتقديم الأفضل في تنافسية إظهار الشخصية الاجتماعية الثقافية الراقية. إن ضرورة التفكر والتأمل من أجل الانتقال والارتقاء نحو الأفضل تدعونا للاهتمام بالشخصية الثقافية التي لا تكتمل إلا بفهمنا لموسيقا الطبيعة فنعلم حاجتنا إلى الموسيقا الوضعية ذات الإبداع الإنساني، وعند امتلاكنا أو محاولات امتلاك النظرية المعرفية ودراسة التحولات الفكرية وفرز التقليدي والعقلاني وأثناء بحثنا التجريبي. في خضم الحياة يجب أن نلاحظ ونلحظ حاجتنا للموسيقا وإبداعاتها، وإن ما أقدمه حولها والحوارات التي تسود بيننا حولها وبالرغم من الجدل العقيم عند بعض البشر، وفي اعتقادي أنهم لم يتمتعوا بعد بالرؤيا الشاملة للحياة الكونية وانحصروا في جزئياتها ولذلك أوجد بعض من كلمات

الرافضة لحضورها نتاج قصور في التأمل الخلقي للطبيعة أقول: هي ضرورة وأكثر من ذلك، يجب أن يسود الراقي منها وتعود الأذن عليها وتنشئة الأجيال وتعويدهم على سماعها بكونها تنجب الرقة الأخلاقية وتزيد إنسانية الإنسان وتعمق وصله الروحي بكونها آتية من سلم روحي عدده عدد الروح السبعة دو – ري – مي – فا – صول – لا – سي هكذا هي الموسيقا كلمة قِدمها قدم التاريخ وفي كل لغات العالم الإنساني (Music).

الصورة

أول ظهور لها كان في الخيال التفكري من خلال الواقع البصري الذي تتكون منه فتصاغ وتحفظ في العقل الإنساني وبالتطور أخذ ينقلها إلى الجدران والأوراق والرُقمَ الطينية والحجرية ومع مروره عصوراً بحث عن إبداعه، أنجز التكنولوجيا التي أحدثت ثورة في كل شيء فجسد صورة وعشقها واهتم بذاته وشكله.

إن أول مشاهدة إنسانية لصورة الإنسان شاهده على الماء الساكن وأحس أنه جميل وأن شكله حسن وفهم أنه مخلوق وكائن لتكون بيده كل مفاتيح الأرض هذه الصورة التي شاهدها أعطته دفعاً وانطلاقة ليبحث في جملة الحياة ويفعل لها وأيقن أنه خلق في أحسن تقويم وأدرك أنه صورة

خالقه، وفهم أكثر أن المصور الكلي أعطاه من صفاته فأصبح مصوراً روحياً ومادياً قادراً على تقليد الصورة والاقتراب بها إلى حد الشبيه ولكن دون استطاعة إيجاد الروح لها، ولكن الإيمان بأهميتها يجب أن يكون مطلقاً لماذا ؟ إنك لن تستطع أن تنجز أي فعل دون تصوره ومعنى ذلك أن ترسم له صورة في عقلك وتهيئ الأدوات لتفعله.

من هذا المدخل نتملك البحث عن طبيعة الصورة تفتح الآفاق به لنرى الأحداث منفردة ومجتمعة دارسين فلسفتها ظاهراً وجوهراً مؤكدين على أنها أساس أي عملية تطويرية وبدونها لما كان للتطور حدوث ووجود نحن الظاهر ننطلق لنعلم أن لكل مخلوق حي عيناً تصور المحسوس وتنقله من البصر إلى العقل تحلله فتتقبله أو ترفضه أما الجوهر فهو إبداع الصور في العقل والقلب وإيجاد الشيء قبل النظر إليه أي النظر يبقى في العقل يبدعه وينجزه ومن ثم يظهره رسما أو قولاً أو فعلاً مجسداً فيه تكون المعاني.

كما أنه يحدث أثناء اتحاد الظاهر والجوهر أي البصر والعقل عند التأمل والتدقيق تكون العين مبصرة وتنقل الصورة والعقل يفكر بها في آن معاً فيحدث التفكر الذي يولد العلم بالشيء المشاهد لينتقل إلى العمل، وكل هذا نتاج الصورة المشاهدة إنها الصورة التي كنا عليها أول مرة، وفي البدء كانت الكلمة التي تجسدت في كُنْ بعد أن أنجز المكون هذا الإنسان الذي نحن منه في صورة إبداعية تناظرية لا متناهية وإذا

لم نتعلم منه بكونه المصور الذي صورنا وأعطانا علم الصورة التي بدونها لا حياة وأي لقاء نتحدث فيه عن الحياة نخاطب بعضنا ونقول تصور وهل لديك صورة عن كذا والصورة تقول: إن بها ما أريد وما تريد، وكل العلوم الإنسانية والرياضية والهندسية والتحليلية قامت من الصورة وبدأت تتطور بفعل التصور، والتصور الطبيعي والإبداعي وكل حقائق الإبداع المادي التي أنجزها البشر هي مأخوذة من حقائق روحية لولا صورتها لما استطاع أي متصور متعمق في صورتها من نقلها وإنجازها ولو لم تنزرع صورة الطائر في الذهن الإنساني لما تصور الطائرة وأبدعها وكذلك السفينة والغواصة لولا انطباع صورة الحوت لما كانت، ولنقس كل شيء على هذا النحو ولنسر عليه.

قد يحدث التساؤل لماذا أبحث عن الصورة وجذورها وعلاقتها مع الحياة ومطالبتي بفهمها فأقول إن توجهي إليها هو غاية من غايات تطور الوجود الفكري، فالعقل الإنساني مثله مثل الجسد مجموع ذري حي وإحدى ذراته المكونة هي الصورة وأعتقد جازما أن أي خلل في أي ذرة من ذرات الإنسان الحية ينبئ عن حالة مرضية أو تخلف وهناك تكمن أهمية الذرات ومنها ذرة الصورة التي أدعو إلى دراستها وتنشيطها وعدم إهمالها والاعتراض عليها فإلى اليوم هناك من يحرم الصورة وينقدها على أساس أنها تمثيل وتجسيد إلى كل من يقوم بذلك أقول: افعلها وحاول أن لا تتصور هل تستطيع حتى

ولو أغمضت عينيك فإن الصورة تابعة في أعماقك وتأكد أن معنى نظرك إلى داخلك ينشئ لديك كماً من الصور التي ساعدتك في علاج نفسك وهي موجودة معك في صورة حبك وتصوره، وعملك وتجسيده وكتاباتك وصورها الأدبية والشعرية وصورتك الشخصية على هويتك ومقابلاتك وحواراتك وتمايزك عن الآخر في مشهد وجهك وجسمك وأسرتك في نحتك وفنك وموسيقاك وزخرفتك إنها صورة وجدانك وأخلاقك وإبداعك.

نعم الصورة كبيرة جداً فهي صورة الحياة الكبرى، فأين أنت من صورتها التي تستطيع وحدك أن تصورها لتأخذ لك صورة فتصبح جزءاً مصوراً من صورتها التي لا تكتمل إلا بك فكيف ستعمل لها وأنت آلتها البصرية والابصارية اكتب عنها وافعل لها ودع الآخرين يصورون عملك ويستنبطون الصور مما صورت في حياتك فتكون بذلك صورتهم التي تضاف إلى صورة الحياة وتأخذ مكانك في الذاكرة الحياتية والإنسانية.

العمـــــر

ليست حروف تجمعت لتشكل كلمة امتلأت من مخاضات المسافة الواصلة مابين نقطتين، البداية والنهاية، الولادة والرحيل، الحبو والوقوف، والمسير والجري، والسعي

مابين الوعي واللاوعي والفهم وتطوره والإدراك وعدمه هي بالضبط ليست مجردة، كما أنها ليست عارية بل هي الوحيدة التي تضم كل المعاني والأماني، الصخب والهدوء الصحو والنوم والصحة والألم، المرض والتعب، المعاناة، الراحة والسعادة، الحزن والفرح، الطفولة والشباب، الرجولة والكهولة، الشيخوخة النمو واكتمال النمو، القوة والضعف الصغر والكبر، العقم والإنجاب، الفعل والتفاعل.

العمر هو المسيرة والوسيلة والمسار الذي نمتطيه ونسير فيه لنصل إلى النهاية الجسدية والانتقاء، إنه أداة الحياة ونخطئ عندما نقول أن حياتنا قصيرة بكون اسمها الحياة، وهي مديدة وطويلة لم نعرف إلى الآن متى بدأت كي نعرف متى ستنتهي، ولكن العمر هو المحدد وهو الذي له حدود وهو الذي له بداية وله نهاية وعندما نسأل عن عمرنا فنقول كذا رقم حيث نحن وصلنا فيكبر السؤال ويصبح ماذا فعلت فيه وفيما إلى الآن أمضيته وهو دلالة على زمنيته، وعندما تعلم أن هذا اليوم هو يوم ميلادك حيث وصلت فتقول: إنني اليوم وصلت إلى هنا وأصبح عمري كذا وغداً سأدخل في سنة جديدة من عمري، ومن هنا أبدأ محاولاً فهم معنى عمري وأدرك أنه لن يكون عمر آخر وأفهم أني والآخرين جميعاً من جنسي كل له عمره أي عمر واحد فقط فإذا حسبت أين أنا وكم بلغت من العمر وعددتها سنينَ وأشهراً وأسابيعَ وأياماً وساعات ودقائق وثواني أعود وأسأل هل توافق عمري

الزمني مع عمري العقلي وهل أنطلق من عمري اليومي لأعرف وأتعرف على ما ملكه عقلي وأي كم من الخبرات امتلكت وأين أنا من عمر ما يشبهني ويرافقني من جنسي.
نعم العمر قضية بحث التاريخ الإنساني في طوله وعرضه فمثلاً الفرعون حاول أن يطيل عمره وكذلك فعل جلجامش أثناء رحلة بحثه عن ماء الحياة وسر الخلود إلى أن حدث الفهم، وإذا نظرنا ودققنا نجد أن لا علاقة للطبيعة مع عمرنا وأن العمر هو مسافة معاشنا وحقيقة أفعالنا أي مظهره قياس سنين عمر وجوهره بصمات وأعمال فهو نتاج أعمالنا في حقيقة الأمر لا أشكالنا الجسدية، ويتفرد عمر كل واحد منا ويمتاز بعمله الذي يشكل الهوية العمرية ليجيب نفسه أولاً عن عمره الذي عمل فيه وما أنجز له كي يبقى خلوداً وبصمة وأثراً، نعم يجب أن يؤرقنا العمر وأن نتساءل عنه ونواجهه بكم الفرص الضائعة التي مرت أمام مسيرة عمره ولم يستفد منها أو يفيدها اعتبر أنني استفزك وأؤلمك بهذه الأسئلة واعلم أني أواجه عمري كما أواجهك وأناقشه وأحاسبه كما أفعل معه لتعلم وأعلم أننا ضحايا ثقافة الحياة وثورتها المادية، إن العمر ضحية المؤامرة الإبداعية للإنسان فإذا علم الإنسان أن عمره ليس أكثر من محطة يمر عليها وبها العالم اللا متناهي في العمر فيعلم أن عليه أن يعمل في هذه المحطة أهم الأعمال ليكون عند اللا متناهي متناهياً.

وينبغي أن تعلم أن تكوينك الجسدي امتلك العقل والقلب والمعدة فلو لا المعدة لكنت مع اللا متناهي وبوجودها أنت تبدأ من نقطة وتعود إلى نقطة أي تبدأ من متناهٍ وتنتهي متناهياً ليبقى اللا متناهي،وهذه حقيقة الحياة وأنت حقيقة العمر، إن ولادتك ودخولك الحياة تعلمك بأن عمرك منذ هذه اللحظة بدأ عده التنازلي وكلما نما جسدك وتراكمت سنين عمرك يعني أنك تتجه إلى النهاية وما تذكرك لعيد ميلادك ومعرفة إلى أين وصلت عمرياً إلا لمعرفة أنك تسير إلى النهاية وأنت تراقب شكلك، أصبحت شباباً ومن ثم رجلاً وبعدها كهلاً وإلى أن تشيخ وتبدأ في مرحلة التفكر في الرحيل الذي يدعوك للتفكر في تلك المحطات، وعملك بها تعلماً وثقافة ووظيفة وتجارة وما ملكته من أيديولوجيات دينية أو وصفية وما خرجت به وحملته وزرعته وشاركت فيه هو العمر. ادخل عليه وتأمله حلل مزاجك وراقب حركاتك وسكناتك ادرس أحلامك وما حققت منها وآلامك التي حملتها بين جنباتك وبعدها احتفل بعمرك الذي وصلت إليه أو ارفضه وقل كنت شيئاً أولا شيء.

لنعلم أن أكسير الحياة هو عملنا الذي نقوم به أثناء رحلة العمر لا العمل الذي نسعى به لإطالة أعمارنا وانحصارنا فيه، فإذا بلغت المئة وتجاوزتها لتسجل فقط أنك أطلت عمرك ولم تنجز فلا معنى لهذا، المعنى الحقيقي هو أن تعرف حقيقة وجودك الذي هو عمرك وماذا عملت فيه

فهو أكسيرك الذي يبقيك خلوداً في الحياة إنه العمر تابعوا البحث فيه.

ماهية الفكر العربي

المدخل إليه يدعونا لتحليله وتقسيم مراحله والوقوف عند المهم منه، وهي المرحلة الأخيرة التي يعيشها ونتحمل آلامه منتظرين النفاذ من عنق الزجاجة المحصورين في داخلها، نتدافع للخروج منها فلا نخرج بكون ادعاءات الأنا المتطورة في داخلنا كبيرة جداً، فإلى متى ومتى، وكيف سنلتقي مجمعين معترفين بأننا نعيش أزمة فكر وصوم فكري، فحالتنا حالة جمع ونقل وترجمة وخضوع من وإلى فكر الآخر، هي محاولة أضيفها لمحاولة الآخرين علّنا جميعاً أن نضع يدنا على الجراح المثقل بها هذا الفكر الذي ابتعد عن الإبداع وقلّ وندر فيه المبدعون.

مر الفكر العربي بمرحلة الجاهلية، وسادَتْه الوثنية والقبلية والعشائرية، فكان التوثيق الفكري فيه عبر شعره ومعلقاته وأسواق عكاظ وجدران الكعبة في مكة، حتى الصراعات التي قامت عبر المناذرة والغساسنة وداحس والغبراء والبسوس، دوّنت عبر الشعر الجاهلي والقصص الحماسي المتوارث من الأجيال، فظهر وانتقل شعبياً مثل عنترة والزير سالم، وقصص الخيال مثل الجان والسَحَرة إلى أن دخل الإسلام،

وعلى الرغم من حضور المسيحية الأولى وقيامها على أعقاب اليهودية (التي لم تسجل في تاريخها أي حالة فكرية أو ثقافية سوى الحالة الدينية) ونشرها لفكرها وانتشارها أيضاً، كان تسجيلها تسجيل صراع الانتشار وتثبيت الرؤى الدينية، وما رشح وسُجّل من ذلك الماضي نمَّت عن تاريخ حضارات سجلت عاداتها وطقوسها ومجرياتها التي انحصرت في أطرها، التي أنجبت حضاراتها كحضارة بلاد مابين النهرين (أور) وإيبلا وتدمر والفراعنة والإغريق (اليونان) والرومان والأنكا، والهنود الحمر في أمريكا والذين أنجبوا الحدائق المعلقة والأهرامات وعظمة البناء لتدمر وإيبلا وأثينا وروما، كما أنجز الخيال جلجامش وهوميروس عبر الأوديسة والإلياذة وفرجيل الإنيادة، وأظهرت الأديان كتب القداسة مثل الحكيم كونفوشيوس وبوذا وزرادشت، وموسى مع التوراة، وعيسى مع الإنجيل، ومحمد مع القرآن، وقد انتشرت الأفكار الدينية وتخصصت إلى حد كبير بالجغرافية الأرضية، فمثلاً الهند والصين واليابان مع بعض الدول البوذية والهندوسية، وأوروبا وشمال آسيا مسيحية مع الأمريكيتين، وشمال أفريقيا والجزيرة العربية والشرق الأوسط إسلامي مع إندونيسيا وماليزيا ووسط أفريقيا وجنوبها الذي لا يزال يتنقل مابين المسيحية والوثنية، علماً بأن النبع الديني في قصص الكتب المقدسة مركزه الشرق الأوسط أو الشرق الروحي الذي منه بدأت علاقة الواجد مع الموجد، وأخذت تسير وتنتشر بقوة

غايتها تهذيب الداخل الإنساني وإنشاء قيم روحية، هيأت لظهور فعل مادي غايته مدنية الإنسان عبر تطوير فكره وتفكره.

إن جملة القيم الروحية التي عرفت الخالق والمخلوق هي جملة فهم طريقة الخلق الكوني وخلق الرادع الذاتي النوعي الذي يجب أن يتمتع به الإنسان، هذه الجملة كانت ومازالت وستبقى من أجل إظهار إنسانيته وابتعاده عن بشريته الحيوانية، وخلق التمايز بينه وبين سائر المخلوقات، وإلا لسار كما تسير بقية المخلوقات.

إن فضل الرؤى الدينية والقصص الديني الوارد عبر النبوّات في الكتب المقدسة أثرى العقل البشري وطوَّر لديه الفكر كثيراً، نعرف أنه يقف على أرض وفوقه سماء وحوله قمر وشمس، مسؤولان عن عملية الليل والنهار ضمن نظرية الظهور والاختفاء، ليتعمق أكثر في فهم الكواكب والنجوم، وكان لهذا التطلع إلى السماء أكبر الأثر في إنشاء دائرة فكرية كبيرة جداً، عملت هذه الدائرة على خلق ذاكرة تسجيلية قابلة لاستقبال أكبر المسائل ومعالجتها، ومن ثم إيجاد الحلول لها وإعطاء النتائج عنها، فكان الإنسان المكتمل العقل القابل للتفكر بعد أن أنجز التأمل وحوَّله إلى فكر، سجلّ إن درسناه علماً استقينا منه فكراً جديداً متجدداً متطوراً وشكّل لنا قاعدة تفكّر استراتيجي وخلق في عقلنا روح العلم والتعلم من خلال الأمل في الحياة التي تحتاج إلى

عودة للتأمل.

إذاً ما هي أزمة الفكر العالمي بشكل عام وأزمة الفكر العربي بشكل خاص، هل أزمته العالمية منعكسة علينا كعرب أم أن الانحصار في الفكر الديني الروحي حصراً، جعله كسجين عرف مدة سجنه وهكذا إنسانياً عرف منذ ولد متى سينتهي أو النهاية المحتومة، وإلى أين سيذهب بعدها بمعنى أنه حصر فكره في عملية التسيير لا خيار له بكون زراعة معرفة مسيرة الحياة قد تمت في فكره، من خلال العلاقة الروحية المبرمجة في عقول من تولوا هذه المهمة، والتي اعتبرها برمجة خرجت عن أسباب وجودها وحضورها وغايتها، ففي آلية التطور الفكري أقول: إن الفكر يصوم وقد يطول صومه، كما يحدث الآن وحدث عبر التاريخ فإذا قاربنا وحصرنا أزمان الإبداع من عمق التاريخ وإلى الآن نجد:

أن زمن أفلاطون وأرسطو وأرسطو طاليس وسقراط كانوا في حلقة زمنية واحدة، حتى أن إبداع أفكار عن الآلهة انتشر أيضاً في فترات متقاربة وفي عدة مناطق جغرافية في العالم، فبينما كان زيوس وافروديت وهرمس لدى الإغريق، كانت عشتار وإيل في الشرق العربي، وكان الفرعون وسلالته في مصر وكان اللات والعزى وهبل وعبد مناة في الجزيرة العربية، هذا من جهة ومع التطور ونشوء فكر التشخيص والتوحيد ودرب الآلام، أخذ الفكر بفضل الرؤى المقدسة، كما ذكرت يتطلع إلى المحيط ليعود لصومه أزماناً سادتها حرب التثبيت، أي كل

يريد أن يظهر وينشر عقيدته وفكره، ومع الإسلام وانتشاره ظهر الرازي وابن سينا والفارابي وابن الهيثم وابن خلدون وابن عربي وابن سبعين، وكانت أيضاً فتراتهم متقاربة وأغلق الباب على الفكر مئات السنين، وسمّيت العصور الوسطى حيث ساد فيها وسيطر الفكر الديني، وتحول الفكر إلى انحطاط وانحلال وتشرذم وضياع إلى آخر قرنين ونيف تقريباً، ثم عاد فعاد الفكر وعاد بقوة التأمل والتفكر، وأصبحنا نشاهد إبداعات هائلة في الفلسفة مثل: غوته وكانت وهيغل ومور وماركس وانجلز وداروين وموليير وشكسبير ودوستوفسكي وتشيخوف وهوغو، كما شهدنا تشايكوفسكي وباخ وموزارت وبيتهوفن، وأدى هذا إلى حدوث ثورات فكرية هائلة شغلت البشرية وأشغلتها ونقلتها إلى ثورة علمية، عملت على إنجاب ثورة صناعية هائلة نعيش الآن نتاجاتها، كل هذا حدث في الشمال من الكرة الأرضية، حتى حدود جنوب الشمال الأوربي وجنوب الشمال الآسيوي وجنوب الشمال الأميركي أي بدقة ما يقارب الثلث الشمالي من الكرة الأرضية، فإذا أخذنا حدود البحر الأبيض المتوسط على أنه هو جنوب شمال الكرة الأرضية، نجد أن الوطن العربي يقع على خط ما فوق خط الاستواء، وجنوب الثلث المتفوق فكرياً وعلمياً وثقافياً، وهو الذي يقدم عالم المعرفة لثلثي الكرة الأرضية، وكما أنه هو الذي استطاع أن يفكك ويحلل ويأخذ كل فكر وثقافات الشرق القديم من حضارات ما بين النهرين (دجلة

والفرات وسوريا أوغاريت وأفاميا وإيبلا وتدمر والفينيقية والكنعانية والفرعونية في مصر) وحتى الآن واللحظة تمر لم يعط هذه المناطق والحضارات إلا النذر اليسير، نظراً لعدم إدراك أهل هذه الحضارات لأهمية ما امتلكوا والفكر الذي حمله الأقدمون منهم، بل على العكس يسعى لبقاء تخلّفهم وتركهم في حالة صراع دائم فنحن لا نسعى إليه وهو يعمل على إبقاء وتعميق ذلك، إن الفكر العربي بشكل خاص ينزف من جراحه ومثقل بهمومه المتراكمة عبر مئات السنين، وعدم استيعاب قضايا التطور والذي نعزوه أو ننسبه إلى وقائع جرت، وانهيار الدولة الإسلامية منذ العصر العباسي، وحالة التشرذم والانقسام وتضخّم الأنا للفرد العربي الذي أقنع نفسه بأنه أنا وليس غيري، ومرحلة العثمانيين الذين خلّفوا وراءهم تخلفاً هائلاً وهم أيضاً تخلّفوا بحملهم الإرث السلطاني، الذي انشغل بالشكل والدين دون الخوض في جوهر الدين العلمي واستسلامنا القسري والقشري لظاهر الدين، دون الخوض في علميته وثوريته والتمسك بلغة الخوف وعدم فهم الخشية، وتملّك الحب بدل الضغينة، كل هذا أنجب أزمة ما بعدها أزمة أوقفت الزمن وأنجبت المتاهة التي وضعتنا في داخلها، نفتش عن أبواب الخروج منها، أحياناً قليلة وكثيراً نحن منشغلون بصغائر الأمور الوهمية الظاهرة على أنها كبيرة لنبقى في المتاهة.

من هذا السرد الذي أردنا منه إيضاح سياق الفكر العالمي

التاريخي، ونسبة إنجازنا فيه ونسبة المسقط علينا منه، وبالنسبة والتناسب نجد أن الإسهام الفكري التاريخي من قبل الميلاد وإلى صدر الاسلام وفتوحاته شرقاً، وغرباً وإبداعاته في خططه، ومسالمته وقوته واستخدامه لكامل العقل فناً معمارياً، وخطط هروب ووصول وسلام ومسالمة، والمشاركة في صناعة وصياغة الإبداع العلمي والفلسفي الواقعي والتطبيقي والصوفي، بلغ الأوج حتى الألف الميلادي الأول تقريباً، حيث بدأ الانهيار والتشرذم وضياع الممتلك والمنجز الذي لم يحافظ إلا على النذر اليسير منه، ولم نحسن استخدامه، لذلك ومنه وعليه فإن الفكر العربي في أزمة وأزمة حقيقية، لم نستطع أن ننجب فكراً استراتيجياً، ولم نحسن استغلال ما لدينا من فكر تاريخي ولم نستطع أن نحوّل الفكر الديني إلى فكر علمي، والذي أبقانا في حيّزه بمعنى حتى التفاسير الدينية العلمية انحصرت في إطار فقهيتها وشرعها وعقيدتها، فلماذا إلى الآن وماذا ننتظر ؟

ما الذي يحدث لهذا الصوم؟ فأين نحن اليوم من الفكر العالمي، وأين هي مساهماتنا فيه، وكم نحتاج لوقفة التأمل والتفكر والعلم والعمل.

مع الإدراك بأن الظروف التي أحاطت بأمتنا العربية ليست بالعادية ولا بالاستثنائية، وتدخل في إطار رسم إبقائنا في حالة الجهل والتخلف والتقوقع والانحدار، ويطرحون دائماً لغة أنهم المفكرون وهم المبدعون وهم المنتجون، وهم

الفلاسفة والعباقرة والمخترعون، وعلينا نحن فقط أن نقرأ علومهم وفلسفتهم، وأن نشتري ملابسهم وأن نأكل مثلهم، إلى متى سنبقى كذلك، هذه الصرخة أطلقها ليست من واد لتعود فألم صداها، هي صرخة لنا نحن أفراد الأمة العربية بشيبها وشبانها وقياداتها وفتياتها وأجيالها.

إن تعزيز ثقافة الاستهلاك هو تعزيز لثقافة الخضوع وقتل الإبداع، وأن نصرخ من على الأكمة خير من أن نصرخ في الوادي، يجب وضروري أن نصعد إلى فوق الهضبة، وأن ندفع ببعضنا بعضاً لاعتلاء القمة، وهناك الصرخة تفيد وتؤتي أكُلها حتى ولو كانت خطرة أو تشبه الرقص على كف الشيطان، إذا لم يحدث ذلك الماضي السحيق، إن ضرورة تسجيل الحضور والتوقيع عليها ونحن في قلب العاصفة المتعددة المشارب، والتي غايتها اقتلاعنا من جذورنا وإبادة فكرنا الحامل، خوفا أن ينشط والذي ينبغي وآن له أن يتنشط حتى ولو احتاج لصعقات كهربائية كي يستيقظ من سباته العميق.

لقد تعزز الفكر الغربي ونما وأبدع من خلال الإصرار على التطور، ونمو ضرورة الصعود وعدم المراوحة في المكان أو البقاء على الأرض، إضافة لتضافر كل الجهود وانصهارها في بوتقة واحدة لتظهر كتلة حجمية قوية قادرة على المواجهة لا تأتي بالأنا، وكل نجاحات الأنا فردية، وتتمثل في فقاعة الصابون أو زبد البحر، واليد الواحدة لا تصفق، صحيح أيضاً

أن مسؤولية إنجاز حالة الاستقرار والتي يجب أن نواجه أنفسنا ونعترف بأنها لم تتوفر بعد ليظهر الإبداع، بكونهم أوجدوا لنا منغصاً دائماً يشاغلنا وفي كل الاتجاهات، وجعلونا نلهث وراء سد الثقوب، وأنجب فينا فكر الصراع الدائم، لكنه وعلى الرغم من عدم راحته (أي الفكر الصهيوني) لكنه أصر على أن يكون موجوداً، وربط الجسور بقوة وأنجز سيطرة في الغرب انعكست وعمّقت فكر السيطرة علينا، ونحن ننشغل بالرد على فكر السيطرة بطريقة فكر الصراع وأفكار التدين المضافة دون تحليل عميق لها.

يجب و ينبغي أن نبدأ عملية الاختراق أولاً، اختراق أنفسنا والتصالح معها، فإذا لم يوحّد الإنسان نفسه لا يستطيع أن يتوحد مع الآخرين.

إن فتح باب الوعي وتعزيزه من خلا ل إنشاء لغة جديدة هي لغة تعلّم المصارحة، ومعرفة أين نحن في صدامية غايتها إغناء المشهد الفكري وإعادة تعريفه، ليعرف أين هو ولينطلق من جديد يحذف التالف والمستورد، ويستقبل من عين البصيرة المتأمل فكرة نواة الفكر.

إن غالبية فكرنا مستورد، وهو نتيجة لدراستنا في الغرب أو الشرق، أو نتاج قراءتنا للترجمات الواردة إلينا وما أكثرها، صحيح أن المعرفة لا تكتمل ولا تستنير إلا بالاطلاع على فكر الآخر، ولكن هل قدّمنا فكرنا إليه وهل سنبقى مستقبلين لفكر الآخرين، وهل يقبل ويتقبل الآخرون فكرنا

وأين يصنفون فكرنا وفي أي مرتبة يضعه الآخرون.

لا شك أن فكر الآخر وتجاربه من الضروري الاطلاع عليه، ولكن أين تجربتنا وفكرنا، وإذا استخدمنا أداة قياس لنعرف المسافة: هل نستطيع أن نعترف ونقول إن الهوة كبيرة، لماذا الصراع في كل نقطة من جغرافيتنا، ولماذا نعيش نحن على الجمر مثل الرماد، ريحٌ بسيطة تشعل نار الفتنة وتظهر الضغائن فيغلق على الفكر أبوابه، ونعيش كثيراً أدب النكسات وهي خسائر، ولا نتذوق طعم الانتصار ونحتفي بالنصر إلا قليلاً إنه حوار قد يكون مؤلماً إلى حد ما وملفتاً يستحق النظر فيه، وما هو إلا دعوة من أجل النهوض والقيام، إن نسبة مشاركتنا الفكرية ونحن أمة بجغرافيتها وحضارتها وعراقتها ومنابعها الروحية الواسعة بالنسبة للناتج الفكري العالمي لم تتجاوز واحداً ونصفاً في المئة، والأمم بمفكريها ومبدعيها وعلمائها وباحثيها، أوربا مثلاً تساهم في ذلك الإنتاج بنسبة ثلاث وثلاثين في المئة، وأمريكا ما يعادل أربعين في المئة، وروسيا والصين ما يعادل اثنين وعشرين في المئة، فأين نحن؟ نترجم فكرنا للآخرين ديناً أو قصصاً مجتمعياً ننشر فيه بعض فضائحنا المجتمعية أو السياسية، أو شعاراً لنحصد بعض الجوائز ولا يتجاوز من يهتم بهمّ الآخر عدد أصابع اليد، على امتداد الوطن العربي، لذلك هي دعوة صادقة بأن نتوقف ونبحث ونتعمق أولاً أين هو فكرنا العربي وكيف سنضخ فيه الألق لنتألق جميعاً.

إن غاية هذه الكلمات إلغاء الفوضى الفكرية والتشتت الذي يعيشه فكرنا، وإلغاء ذاك اللهاث خلف المسارات والمحاور الواردة إلينا والتي ندور في أفلاكها، فنحن نمتلك المخزون والخزان ونمتلك الينابيع والأقفال ومفاتيحها، يكفي فقط أن نشق الجداول لتسيل الينابيع بحب وعلم ومعرفة، كما يكفي أن نعرف آليات وضع المفتاح في القفل وأين ومتى نفتح ونقفل، المادة والروح ملكنا ودعم المادة للروح يولّد دعم الروح للمادة لتنشأ ملحمية التصالح بين المظهر والجوهر، ويحدث التوحد والمصالحة فنرى كما يرى الآخر بل أكثر من ذلك نحدث الإبداع.

العقل العربي عقل فَهِم التحضر والمدنية دون امتلاكه، فما زال في داخله بدوياً أو ريفياً أو صحراوياً أو قبلياً، ويمتلكه دين يسيطر عليه حتى وهو في حالة امتلاك أي عقيدة أخرى كالجدلية أو الوجودية أو العلمانية، ولم يستطع أن يمتلك فكر الحب بدل فكر الخوف، ولم يعرف حتى الآن أن الله حب يجب أن يُحَب وأن لا يُخاف منه ولا يكون أداة رعب، وأن إنجاز المدنية يحتاج لفهم الإشكال والتفكر العلمي في الأرض والسماء وما بينهما، لفصل فهم الريف والصحراء ويعمل على تمدينه وتحضيره، فيظهر الفكر النقي القادر على فهم متطلبات الأمة ويأخذ استقلاليةً وشخصيةً نسميه (الفكر العربي)، ويحقق به الحضور بين فكر الغرب وفكر الشرق، فيتحدثون بأن هناك فكراً وفكراً حقيقياً هو

الفكر العربي وشخصية عربية تحمل فكراً عربياً خالصاً لا منقولاً ولا مستجمعاً من الأفكار الواردة إلينا من الآخر.

سلام

حقيقة وجود الإنسان بعد أن أيقن بأنه حقيقة علمية، مطلوب منها أن تدرك جملة المعطيات التي هو منها وحضر ليوفّر لها السلام من خلال فهمه لها ولكل أشكالها، الثابت والمتجدد ضمن معادلة الكون الهندسي المنجز، على شكل آبدة تاريخية هزلية وعجيبة متفردة، لا يمكن معادلتها أو حتى التشبه بها أو خلق صورة روحية أو مادية مثلها.

فالشكل الذي أوجده الإنسان في عقله الباطن بعد أن امتلك الوعي عن العالم الافتراضي، والعالم الآخر الذي ينتقل إليه بوصوله إلى نهايته المقدرة، ويعيشه محمولاً بين جنباته، هو عالم سلام وأمن وحرية وعدالة وديمقراطية، يعيش في سماء الحكمة الإلهية وضمن مباركاته ومحبته (نسميها الجنة بأنهارها وثمارها وبدائعها) فالبديع فيها أن السلام هو المظلة التي تنضوي تحتها كل هذه المحاور والمتطلبات، والتي يرغب بها العقل الإنساني، وهو في حياته المادية يمارس أفعالها المعاشة والمرتبطة منذ اللحظة الأولى لولوجه معترك الحياة، وإلى أن ينتهي يجهد ويعمل من أجل أن يعيش بسلام، أو يصل إلى الجنة الساكنة في عقله والتي

تشكّل له الحلم الكبير وصورته (السلام).
إن البدء بالبحث عن السلام يجب أن ينطلق ويبدأ من الإنسان نفسه، وعليه قبل أن يبحث في محيطه والمكون والمتكون والأعلى والأسفل واليمين واليسار، بالنظر إلى داخله و ذاته حيث ينبغي عليه أن يتجول وأن يدخل بعقله وبصيرته من خلال جسده الظاهر، إلى ما يحتويه جسده ليجد أن هذا الشكل المادي المسمى إنساناً يمتلك عالماً شديد الدقة متكاملاً، وأن كل أجهزته وأدواته المخفية في الجسد الظاهرة عليه، ما هي إلا معامل ووسائل وأجهزة تعمل للدفاع عنه وزيادة مناعته، فهي تستقبل وتحلّل وتتصرف وتصرِف وتستفيد وتطرح، كل هذا من أجل سلامة الإنسان، أي ليكون هذا الإنسان سليماً أميناً مرتاحاً قادراً على الحركة والفعل والإنجاز، والوصل والاتصال مع الآخر الإنسان أولاً، ولحمل الرسالة التي وجد من أجلها في خدمة الكونية المحيطة به من جماد ونبات وحيوان.
إذاً فالسلام يبدأ من سلامة الإنسان، لينطلق مستخدماً وظائفه الموجهة له ليلتقي بأخيه الإنسان ويلقي عليه السلام، يأمنه ويضع يده في يده، وبمعنى أدق إنه الكلمة الضامنة لاستمرار الحياة والذي نسعى إليه ونقول إننا نعيش بسلام، لذلك هو غايتنا وفهمه يعني فهم الطبيعة الإنسانية الواجب عليها أن تقف مع ذاتها لتتوحد وتوحّد بين الظاهر والباطن أي المظهر والجوهر، ومن ثم تنطلق

ككتلة عاقلة لتتوحد مع السلام المهيمن الذي يعني انتفاء الخوف، وحلول الطمأنينة في تبادلية تظهر الإنسان في صورة نقرؤها منه، لأنه إنسان سالم مسالم أي ليس مختلفاً ولا مبتعداً، وفي انطلاقته تتحرك كل مادياته مثل اليد والعين والأذن والأنف والذوق والنطق والتعقل حيث يرى ويشاهد ويتحسس الأشياء ويحلل، فإذا ألقينا عليه السلام ردّه بأحسن منه ومدّ يده وصافح وعمل على منع الأذى، وإن استطاع أن يزيد في الخير زاد فيه له ولغيره.

السلام لغة فهم الروح والمادة والتوحد مع مسبب الوجود، ليشعر الموجود في الوجود، وبما أن سبب الوجود هو السلام المهيمن فيه طبيعته، ومنتشر أساساً على كامل المحيط الكوني منذ لحظة خلقه، يدخلك بالتأمل والتفكر، أن الإنسان خلق من أجل السلام للآخر، وليعيش في سلام، وبدونه قلق وألم ومرض وتسلط أي لا راحة، فالسور أو السلك الشائك الذي أوجده الإنسان له ولما يخصه من حيوان ونبات وجماد بغاية الحفاظ على تكوينه وتطوره، حيث مثّل له منزله وحظيرته وبستانه وعمله ومركبته، وانضم به إلى آخرين فعلوا مثله ليشكّلوا أُسَراً ومجتمعات ودولاً وأمماً بغاية العيش بسلام ومع السلام، ومن أجل ان يغلق الإنسان الجفون على عينيه ليشعر بأنها أمينة وأنه مسالم لا يخاف من أي شيء، وإحساسه بأنه متصالح أولاً مع ذاته وثانياً مع محيطه ومعترف بموجده، نجد أن هذا الحلم الذي نصبح ونمسي عليه هو مطلب

لراحة الإنسان ومجتمعه وأمته ودولته وعقيدته.

إلغاء الآخر

لا يمكنك أن تلغيه فهو أمامك وعلى يمينك، وعلى يسارك هو خلفك على صفحات الكتاب، أي كتاب أي عنوان لم تفعله أنت فلا تستطيع منعه أو اختراقه، بحكم وجوده في الشكل الأفضل المتقدم عنك وأنت بدونه لا شيء، مهما فعلت وحاولت أن تشطبه أو تلغيه، إذا كان أفضل منك هو الذي سيخترقك وسيكون وجودك وبدونه لا وجود لك فكيف بك تلغيه، وإذا تم لك ذلك ونجحت كيف ستعيش بدونه.
انظر لنفسك لتجد أنك مفرد تعيش في حفرة لا تستطيع الخروج منها، وبجانبك حفرة ثانية فيها الآخر أيضاً مفرداً، وكل منكما لديه حبل يحاول الخروج بمفرده فلا يستطيع، فكّر أنك إذا رميت الحبل له خرجتَ من الحفرة وبدونه لا تستطيع ذلك فإذا أخرجك هل ستدعه في حفرته، أم ستتناول الحبل منه وتخرجه لتكونا معاً.
وإذا فكرت أن تتركه في حفرته وتبتعد عنه، عليك أن تفكّر بأنك لا محالة ستسقط في حفرة ثانية، ولكن المسافة الآن كبيرة بينك وبينه، ولن تستطيع رمي الحبل له فتنتهي أنت وهو ولكن كل في حفرته ، الآن ماذا يعني لك خروجكما من الحفر والسير مع بعضكما، لا يهم مَن في المقدمة ولكن المهم

من يقدّم الرؤية الواضحة للمسير فإذا كان النقاش محترماً تتولد الأفكار وتنساب وتتفاعل الخواطر في حركة المسير، لتنبت فكرة جديدة تظهر حلاً لكثير من الأمور العالقة، التي تحتاج إلى المنطق لحصول التطور والانتقال درجة نحو الأعلى أو خطوة إلى الأمام ، لن نختلف كيف نسير ولا على من سيكون ظل الآخر، المهم أن يتولد الاحترام والثقة والاقتناع، وأن الأفضل بيننا هو من يمتلك الرؤية الواضحة، ويعطي القرار السليم والفكرة الكاملة التي ترى الهدف وترسم له المسار والاختصار من أجل الوصول إليه، مع توقع العقبات وتصور الحلول لتجاوزها وحلها بأسرع ما يمكن وبدقة نوعية طبعاً، إذا امتلكت ذلك فسأرفع لك القبعة، وسأسير خلفك فأشكّل لك دافعة وحماية خلفية من أجل أن ترتقي، وهذا واجبي بكونك الأفضل وقناعتي بصعودك أنك عندما تصل ستلتفت إلى الخلف لتراني أدفعك فتأخذ بيدي وتضعني إلى جانبك.

قدرنا في الحياة أننا نعيش معاً، لا يمكنني أن أعيش بمفردي وبكونك موجود معي، لا يمكنني أن ألغيك ومهما بلغت شرورك وأذاك. أضطّر لتقديم النصح والعون لك، و إلا ما هي فلسفة وجودي ووجودك ، نعم التطور والتقدم والإبداع يحتاج إلى الآخر، ولا يمكن لأي باحث عن الوجود أن يلغي الآخر، وإلا سيبقى متخلفاً بكونه ينشئ الآخر له صراعاً مؤخّراً لتقدمه، وإن تقدّم يبقى تقدّمه في إطار التسلط والهيمنة

والخوف فلا يستطيع الصعود، ويكون الحذر والتلفت عبر المحيط إلهاءً وتأخيراً في حركة المسير.

ماذا أريد من كل ذلك ؟ ما أريده تريده فإذا التقينا أصبحت الإرادة جامعة مانعة متوافقة، وأننا أصبحنا في حفرة واحدة وأخذنا نشكّل لبعضنا رافعة أو سلماً نتبادل الصعود عليه ليبدأ النجاح ، لا يمكن للنجاح أن يحصل بدون مساهمة الآخر، فإذا ألغيته وأفشلته فشلت أنا، وأقوم أيضاً بإلغاء نفسي ، عندما ندقق في أسباب النجاح والفشل والتطور والتخلف والتقدم والتراجع، نجد أن التعاون واحترام الآخر أهم وسيلة مكونة لتلك العلاقات، وعكسها فيما ذكرنا أيضاً هو أهم وسيلة في إفشالها.

أين نحن في اعتقادكم من كل ذلك هل فكرتم كيف أننا نلغي بعضنا بعضاً، هل فكرتم كيف نكون بعضنا إلى جانب بعض. نحترم النجاح ونحاول أمام الفشل برفضه وإعادة تكوينه فنحوله إلى نجاح.

أيها السادة انتبهوا فما نحتاج إليه اليوم هو الترفع والاعتراف بأننا فرديّون، وبأننا متأخرون عن الركب فالأجيال السابقة كانت وحدة متكاملة متراصَّة يحترم بعضها بعضاً، جمعتها العروة الوثقى واليوم صارت أفراداً يسهل كسرها ولويها وتحطيمها والسبب هو أننا نحاول أن يلغي بعضنا بعضاً، جرح من الجراحات التي نعيشها والواجب أن نعمل على التآمه، والواجب يدعونا لرأبه فنحقق بذلك

إصلاحاً لمسار من المسارات الخاطئة ونكون قد بدأنا خطوة على طريق التطور.

اعلم أنك بعد كل الإنجازات التي تحققها بفضل الآخر، ستنتهي وستحتاج إليه بكونك ستعود إلى الحفرة ولن تستطيع بمفردك العودة إلى الحفرة لأنك تحتاج إليه فلا تلغيه.

الإدارة

علم يبحث في إيجاد مكونات وقواعد تحكم نظماً اجتماعية واقتصادية وسياسية، وغاية هذه النظم تحقيق أفضل مردود يعود بالنفع على تفرعات كل نظام من هذه النظم، فيتشكل من خلال هذا العلم منظومة هرمية تسمى أسرة، مؤسسة، مجتمع، دولة، وإنّ التعمق بهذا العلم الذي أصبح متوفراً وبكثرة ومنتشراً كلغة وكعلم، ويتبادله المختصون والمجتمعون والمسؤولون في كل المحافل، وطبّق البعض واستفاد كثيراً، وكثيرون بقيت لهم أفكار يتداولونها كافتتاحيات في أي حوار، ولا يعملون بها ليبقى هذا العلم مع أولئك الناس كحالة ديماغوجيا أو سفسطة ضمن كريزما الحضور.

الإدارة أيها السادة مربّع مؤلف من علم وفن وأخلاق وعمل، تُشكَّلُ من خلاله استراتيجية الهدف مستخدمة

التكتيك بغاية التعامل بديناميةِ، تقبل التطور والتغير من أجل الانتقال إلى الأفضل، فمن لا يجيد ذلك لا يصلح أن يكون فاعلاً في النظم الإدارية، ولا نستطيع أن نطلق عليه لقب مدير، فالعلم هو التخصص بالشيء والمعرفة هي كيفية تحضير أدواته، والفن ليس فن المراوغة والمكر، بل هو البحث بأن يكون النتاج جميلاً أي أن نلبس المنتج من العلم التخصصي جمالاً ليراه الآخرون جميلاً، ويحمل صفة الطلب والإشادة والارتقاء، والأخلاق هي ما يتمتع به المدير من جمل فكرية لها علاقة بالإنسانية، التي تمتلك الحزم المنطقي واللين العاطفي، بمعنى أن من لا يعطيك لا تعطيه، ومن يعطيك تعطيه بنسبة العطاء، مع حضِّه على تطوير عطائه وتسهيل ظروف التطوير لا تعقيدها، كذلك الفهم الأخلاقي الذي يتضمن الدراسات النفسية وانعكاساتها في الشخصيات العاملة والمتعاملة مع المادة، كي يكون منتجاً تشكل ضرورة لعملية يشكل الهرم العملي في مصنع أو مؤسسة أو إدارة ما.

وتَوفُّر دافع العمل لتحقيق ناتج لا يتم إلا بتضافر كل جهود الهرم من قاعدته إلى قمته، والعكس صحيح فلا إدارة بلا قواعد ولا قواعد بلا إدارة، فإحكام العلاقة وربطها بتشكيل سلسلة متينة متفهمة لما تريد أولاً ولمَ ستعطي ثانياً ولمن ستجني ثالثاً، يتحقق مثلث الإنتاج من خلال مربع الإدارة فليس المدير هو الإدارة بل الإدارة هي التي تصنع المدير،

وبدون ذلك يكون الانهيار أي لا مدير ولا إدارة.
إن ما ورد في جملة حديثنا عن الإدارة هدفه تشكيل هوية إدارية لا يحملها المدير فقط بل الهرم الإداري بمجمله، والمسؤولية تقع على كاهل الإدارة بشكل خاص، فعندما يخرج مُنتَج ما يحمل الجميع هويته، والهوية يراها الآخر فيعرف مقدار الانتماء من مقدار الناتج وهذا المنتج يقودنا إلى أن الانتماء إلى الشيء والتعلق به ينتج إدارة ومنتجاً ناجحاً ومتميزاً، وهذا يؤكد نظرية علاقة المنتج بالانتماء اللذين يشكلان الهوية التي تمهر بالجنسية، وتنقل كل ذلك إلى نجاح عملية اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية.
وعندما ندرك بأن الإدارة علم، فهذا يعني لنا أنها تحمل في طياتها علم فلسفة التكوين، الذي يقوم على أسس وقوانين ونظريات تتحول من العمومية إلى خصوصية ما يراد إدارته، ليعود فيقدّم خدماته للعام، فأساليب المقارنة والغيريّة والمنافسة،واستخدام النظم الإحصائية والرياضية والبحوث التخصصية، واستدعاء علوم الاجتماع والنفس، أضحت واجبة لنجاح أي إدارة من أجل إنجاز غاية إدارة الشيء والوصول لأهدافه، تتشكّل منه شخصية الوطن الناجح، أو تقيس نجاح وطن أو أمة في إدارة ما يملك أو الإرادة ليملك.
لا يكفي أن تبقى إدارتنا معتمدة على قوة الشخصية أو المعرفة اللا تخصصية، والقوة المستندة إلى قوة داعمة فهذا يؤدي إلى نشوء الانفلات من خلال التخطيط للهروب من

القوة، ونمو عناصر المراوغة والكذب والإنتاج الوهمي الذي يظهر صورة جميلة وعمقاً مزيفاً.

إن الإدارة هي علاقة الشرف العملي بالانتماء الوطني، الذي يشكّل مؤسسة واقتصاداً ومجتمعاً ودولة، وناتجه يعني الارتقاء بالوطن، وشخصية الأمة، وكل ما ورد عناوين تنضوي تحت لواء هذين المعنيين اللذين بدونهما لا يكون عمل ولا إنتاج، وبالتالي لا تكون هناك إدارة.

الإدارة الميدانية

إنها الفعل الحقيقي والآليات التنفيذية لمكونات علوم الإدارة ونظرياته، كما أن مخارجها الفعالة من حيّز النظرية إلى العمليات التطبيقية وممارستها على أرض الواقع، مظهرة الخطأ والصواب ومعالجة لكل القضايا العالقة من خلال تقديم الحلول السريعة المشاهدة أثناء المسير، وهي التي تفرز الخلل من الصح وتعطي الحافز للنجاح الذي يشكل مدخلاً إلى عالم المنافسة ودوران العجلات على كل المحاور فنعرف أن الركب سائر لننخرط فيه.

إن امتلاك الفكر التطويري والاقتناع به بهدف مواكبة المحيط العربي والدولي ووجود الغيرة التنافسية، يؤدي إلى اثبات أن الإدارة الميدانية هي الأداة التنفيذية في الفكر الميداني الناجح، وبمعنى أدق أن تعود الحركة على المسارات

الموجودة في أي بنية إدارية خدمية إنتاجية، وذات أي طابع اقتصادي اجتماعي سياسي، ومتطلبات المعرفة الدقيقة لمفاصل تلك البنى ومداخلاتها والغاية من مخارجها، يؤدي إلى نتائج نوعية تحقق أولاً المعرفة بالموجودات، وفهم ارتباطها، وثانياً الاحتياجات، وثالثاً الهدف المرجو من ناتج هذه العملية والتي تعطيك من خلال الفهم العميق الخلل الساكن ضمن هذه الثلاثية، وتسمح لك بالتدقيق من خلال الوضوح في الرؤية نتاج ذلك، مبينة التراجعات ومعرفة تلافيها والتقدم بالتفاعل معها.

هذا الفهم الأولي المتكون والجامع لطبيعة العلاقة بين النظرية والتطوير، يؤدي في وحدته مع الانتماء ودرجات الرغبة من أجل تحقيق وإنجاز شيء ما، وإظهاره كصورة حقيقية جميلة تنتمي إلى الجدار الحامل لها، كما ينتمي الجدار إلى القاعدة الصلبة المبني عليها، فيظهر لنا كل ذلك في تجانسية يقيّمها الآخرون بأنها أداء نوعي وفعل حقيقي، من خلال ما ينتج عن ذلك، والذي يُطلق عليه مصطلح منتج ناجح هو وليد هذه العلاقة.

لذلك نحتاج إليها اليوم كأفراد وكأسر ومجتمع وأمة، ومطلبنا حدوث الانتقال السريع العلمي والفعال من أجل مواكبة الركب، والسير إن لم يكن بجانبه فقريباً منه، وإذا أردنا أن نكون أكثر واقعية يجب أن نعترف بأننا نمتلك كمّاً من الأخطاء وفي الكثير من المحاور، واعترافنا ليس عيباً إن

توقّفنا عنده وعالجناه، لننطلق إلى الأمام ونتجاوزه بدون علاج يعني أن الخطأ سيستفحل، ونخطئ أكثر أي نضيف إليه لنجد أنفسنا أمام تلال من الأخطاء تربكنا وتفقدنا إدارة الصح، وتجاوز الخطأ والتعمق في ماهية أسبابه، وتكوين ملف بمثابة دليل له يؤشر على أن إدارتنا الميدانية ذات العملية والعلمية المعالجة، ومانعة لتكراره أولاً ومن ثم الوقوع فيه ثانياً.

إن تعوُّدَ ربط السكون بالحركة والجلوس بالوقوف، والمسير بالبصر، والبصر بالبصيرة، والوصل بالتواصل، والفهم بالاستماع والتفاهم، يؤدي إلى إنجاز، والإنجاز يقيّم من قبل الآخر التخصصي والمستخدم لهذا الإنجاز وتقييمه لمدى الفوائد المنعكسة عليه، فينشأ الحديث الإيجابي عن فعل منجز يحمل تناغماً متوحداً مابين النظرية والتطبيق، يدل على النجاح ويتناسى نِسَب الخطأ الضئيلة إن وُجِدتْ بكون الفائدة التي حصل عليها أكبر، وتعود الدورة إلى بدايتها كإدارة ميدانية تكتشف أخطاءها وتعالجها بغاية تطوير الشيء وتقديمه بلا أخطاء.

نصل من كل ما تقدَّم إلى أن الإدارة الميدانية تمتلك بعدين: بُعدٌ أمامي وبُعدٌ خلفي وبمعنى أدق لها بابان باب للدخول وباب للخروج وبينهما كل أبواب نجاح أي إدارة، وبدون معرفة مداخل ومخارج، وتبادل الدخول والسير بينهما بشكل دائم لا يمكن لأي إدارة أن تمتلك أبعاد النجاح، وتبقى إدارة الباب

الواحد والتي لا تغني ولا تنجز البعد المرجو منه، ولا تصل إليه وتبقى محصورة ما بين الباب والمركب أي بمعنى آخر تبقى نظرية، وإذا أردنا التطور الحقيقي علينا التحرك وفهم معنى الإدارة الميدانية فهماً حقيقياً، والتخلي عن الشكل النظري والنزول إلى الميدان العملي ليحدث النجاح والتطور والارتقاء، هي هكذا فعل تطبيقي يحوّل النظرية إلى عمل حقيقي.

الإعلام

خبر ينبئ عن شيء حاصل أو سيحصل أو يحصل، شكله الأزمان الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، وغايته تقديم المعلومة ونشرها، وتطوره أتى من نبأ وأنبأ أي ظهر ولاح وبان وشاع، وبدايته كانت استعراضاً يُكلَّف به شخص ويقرع الطبلَ ليقول: الحاضر يعلم الغائب، ومع التطور من شكل عَلِمْتُ وَعِلَم وَحَصُولَ الاندماج بينهما، أخذ شكل الإعلام وأصبح مقروءاً ومسموعاً ومرئياً ومحمولاً ينتقل عبر الفضاء بواسطة الأقمار الصناعية، وصناعته وصياغته بشرية تستخدمه على كل الأصعدة فتارة سياسية وتارة اقتصادية وتارة اجتماعية، وله شكل خدمي، وأمام الكثافة البشرية وتقسيماتها إلى دول، والدول إلى مدن وبلدان، والتطور

الصناعي والاقتصادي الهائل، وتنوع الأزمات والحروب والكوارث الطبيعية والصنعية، والإبداع الفردي والجماعي أنشأ معلومة بل معلومات، وصناعة بل صناعات، واقتصاداً واقتصاديات، اقتضى لكل منها أن تعلم عنه وتخبر عن إنجازها ليحصل التطور والتبادل.

فالإعلام أصبح صورة الدول والناطق الرسمي بإسم جمهورها، تتجمع المعلومة من خلال الأحداث وتتقدم، لتظهر كشخصية أمة تقدّم نفسها أو تدافع عن نفسها، فأهميته غدت قريبة من أهمية السلاح، ولذلك يعتبر سلاحاً مدنياً نوعياً راقياً، إن أجيد استخدامه قُدّم على الكثير من القضايا وفاق النظم والقوانين.

والإعلام علم المناورة وفن هندسي، وأبعاده جملة الحياة التكوينية، وغايته في الصورة النهائية إيصال المعلومة الشفافة أو المناورة بها، ولذلك هو مركّب ومعقّد متعلق بطريقة إيصال المعلومة، ونجاحه مرتبط بالأسلوب والثقة في المصدر، ومحيطها وغاية نشرها وإغراء العواطف واللعب على أوتارها جزء من فعل الإعلام، فإيصال المعلومة الصحيحة التي تحقق الإشباع العقلي، تنجز مجتمعاً حقيقياً وتفيد الأساس وتصيب الهدف بسرعة، وتساهم في عملية التطور والتطوير، وتعزّز القيم الأخلاقية للمجتمعات.

انه صورة الحرية ولغتها صورتنا شخصياً، يتعلق بدرجات

انتمائنا ووسائل وطرق تقديم أنفسنا، وكلما زاد انتماؤه وتعزز اتسعت حريته وبلغت جمهوره، وحققت الانتشار، وللعلم لا يوجد في العالم أجمع إعلام حرّ بكون هدفه في الأساس الإخبار وتقديم شيء عن شيء، بهذا المعنى هو منتم لشيء، وبإمكاننا أن نقول إن هناك إعلام يمين وإعلام يسارٍ، وإعلاماً صادقاً وإعلاماً كاذباً، وإعلاماً أبيض وإعلاماً أسود، وإعلاماً مؤيداً وإعلاماً معارضاً، وإعلاماً وطنياً وإعلاماً معادياً، وكل هذا ينبع من شيء ولشيء، وأهم أنواع الإعلام هو الإعلام المنتمي لمبادئ وقيم العدالة والحق والحقيقة والوطن، والانتصار للحقوق وإظهارها كردود علمية منطقية، هو الإعلام بعينة ينتشر بين البشر لتفرز الصالح من الطالح فهو أداة الحقيقة وصورته المحببة للبشرية.

إن رسالة الإعلام إذا حملت الوضوح وفهمت وتفهَّمت ظروف الرسالة، جسَّدت القيم والمبادئ للمجتمع والأمة، بهرميته الضامة والضامنة لأفعاله في التعليم والاجتماع والاقتصاد والسياسة، فكلما كانت مفهومة وترجمت الأهداف نكون وصلنا إلى الغاية، إن الإعلام في كل حقل هو مسار بين نقطتين: الأولى إظهار البناء والثانية الهدف منه، فإذا تحقق ذلك كان إعلاماً يحمل الأسس والمنطلقات، ويحوّل النظرية إلى تطبيق من خلال التعبير عن الأفكار التي تتجسد في الصور البلاغية والفنية، مستخدمة المواهب والقدرات،

إنه مطلب ملح لحدوث الإبداع، فإذا أجدناه أبدعنا وإذا فقدناه تخلَّفنا، إذاً لنطوّر الإعلام ونجعله صورة خلاقة عن مجتمعنا، بفكره وإنجازاته، ولنتمسّك به سلاحاً طلقاته الكلمة بشكلها ولونها وحقيقتها، ولنعتمده سلاحاً من أسلحة الأمة لنمتلكه جميعاً ندافع به، كل منا من موقعه، وكلما احتاج معرفة وتطويراً طوَّرناه بكونه علم متطور ويقبل التطوير، لنتشارك جميعنا كلٌّ من موقعه بشفافية الانتماء لهذا البلد وهذه الأمة، ولنرفع إعلامنا حفاظاً على عَلَمنا الوطني الذي نجلُّ فَعِلْمُنا وإعلامنا هو عَلَمنا الحقيقي الذي نستظل بظله.

التطوع

اشتغال بما يفيد الأرض والإنسان، وبمعنى أدق ما يفيد الحياة ويعطيها الصورة الأجمل حين توفر وقت الفراغ، ويكون في قسم منه أو بمجمله يبذل الفرد فيه عملاً خارج نطاق عمله، وبعد أن ينجز وظائفه ويؤدي واجباته ومهامه المطلوبة منه، وتحقيقها بشكل جيد لتساعده في معيشته واستقراره، وتنظّمه وتظهر له شخصيته في حياته المدنية والمادية، وهو أي التطوع غير التبرع، فالتبرع مادي أو معنوي يحتمل الشخصي والتكليف، أما التطوع فيكون مشاركة فاعلة ومنفعلة، عملية وجدانية شخصية مباشرة يقبل

فيها الشخص المتطوع الأمر ويلتزم طوعاً بتنفيذه والعمل مع الآخر، بكونه يحتمل الجهد الجماعي وتقسيماته ومتطلباته.

هذا الفراغ يقود الفرد إلى ملئه وهو في حالة التطور العقلي، والإحساس العالي بمحيطه وطموحه لتحقيق الأفضل لمجتمعه، وارتفاع درجة الإنسانية المجتمعية يدفعه إلى عمل مضاف ضمن أوقات فراغه، ودون مقابل مادي أو نقدي واجب السداد يمكن أن يطالب به، مستخدماً القانون أو الضغط من أجل تحصيل مردود له شخصياً، بل العكس تماماً يمكن أن تكون له مساهمات مادية ضمن أوضاعه الفائضة مادياً، تؤدي لمساعدة آخرين، وغاية العمل التطوعي تحقيق خدمات مشتركة تنشط وتظهر المجتمعات المحلية بصوره تلاحمية، وتولّد مودة تعزّز الانتماء للمكان أي الجغرافية الوطنية، وتظهر فيها جمالاً مضافاً مبعدة كل مظاهر الإساءة لهذه المجتمعات، إن اقتناع المتطوع بمبادئ العمل التطوعي وأهداف التطوع وقبوله لشروطه، يساعده كثيراً وينعكس على مجتمعه وعليه شخصياً، فيعطيه كما يعطي مجتمعه صورة استراتيجية نوعية طيبة.

إن علاقة التطوع وتنميته يحتاج في الأساس إلى تنمية فكرة حقيقية مسبقة، لمعرفة حاجات المجتمع ومقدرة أفراده الراغبين في التطوع للتطوع، فرسم المساحة الجغرافية ومعرفة أفرادها وأسرها وتكوينها، وتحوّل التطوع من مكان

إلى مكان، ومن فرد لأجل فرد، والتخطيط المفهوم من قبل الحاجة في المحليات وطرق تنفيذها وإدارتها ذاتياً، ودعم ومساندة الجهات الرسمية وغير الرسمية القادرة، هي التي تحقق أكبر الفرص للنجاح في العمل التطوعي وتبرز إنجازاته.

كما أن توفر شروط موقع التطوع أو الفرد المراد التطوع له، وتحديد حاجاته الحقيقية، يحفّز التطوع ويوجد له المتطوعين، ويحضهم للتقدم بشجاعة والالتزام بمبادئ وأهداف العملية التطوعية، كما وأنه يحفّز على التفاني والتضحية أكثر عند شعورهم بنجاحهم وافتخارهم، ويعطيهم الصبر ويوسّعه أمام مواجهة مشاكل العمل الطوعي كما أنه يدعوهم للتسامح بشكل أكبر في حالات الإساءة.

فالعمل التطوعي يحتاج إلى الصمت والابتعاد عن الأضواء وحب الظهور، والاحترام المتبادل في عملية التطوع يؤدي إلى تطويرها وإظهار مجتمعها الذي ينجز فيه التطوع على أنه راقٍ، ويتحضّر ويحفّز الآخرين والجوار على فعله، ووجوده فهم عميق ونوعي لفكره التطوعي، وتوظيف المؤهلات العلمية والعملية وتنظيم الأهداف يحقق غايات التطوع.

إن أي مجتمع يحتاج للتطوع، وكل مكونات الحياة الطبيعية والمادية تحتاج إلى هذه الآلية: الوردة والشجرة والأرض والمنزل، والحي والمدينة والريف والأسرة، وكل المجتمع يحتاج

إلى متطوعين، ولا يحدث للحياة حضور وتطور بدونه، وإننا بالرغم من كل مصاعب الحياة وظروفها وقسوتها ووجود فواصل طبقية مادية، ودرجات علمية وجهل وتخلّف، وعلم وتعلم وتعليم، وبالرغم من انشغالاتنا الحياتية إن درسنا الزمن بشكل صحيح وجدنا أن الهدر هائل وكبير حاصل فيه، وأن كثيراً من الوقت نمضيه في صغائر الأمور التي لا قيمة لها وليس منها فائدة فإذا حوّلنا جزءاً يسيراً منه، وقام كل فرد بجزء بسيط وشغله بفائدة، حصل التطور من زيادة التحضّر، والحضارة هي دعوة لدراسة الوقت الغالي الثمن، والانتباه لقيمته الكبرى وأهميته في تقدم المجتمعات.

أختم وأقول إن الأمم انتبهت إلى موضوع التطوع واهتمت به عالمياً، وأصدرت له القرارات والتشريعات واعتمدته من خلال إصدار قوانين من هيئة الأمم المتحدة منذ سنوات قريبة، وأضيف إذا دخلنا إلى عمق تاريخنا الإيماني نجد أن التطوع كان له الحضور الكبير فيه من خلال القول الجليل (فمن تطوّع خيراً).

الدولة والكيان

بعيداً عن كل التعاريف التي رسمت شكل الدولة، وبحثت في أصل كلمة دولة، وأعطت لها حجماً صغيراً أو كبيراً وشملت الكثير من المعاني والأسماء، والجغرافية والشعب

والحدود، وخصائصها والسيادة والاستقلال ندخل عليها ونقول: إنها هرم متكامل، يمتلك القاعدة والمحاور والأضلاع، التي تلتقي جمعيها في نقطة تشكّل رأسها وتظهر على أنها الرمز، كما أنها تقلب المعادلة لتكون البدء، وتقام الدولة في هرميتها بكونها النقطة الآمرة فتحمل إشارة الانطلاق في عمليات البناء، وتصهر جميع فعالياتها وتنسكب على هرمها، فتتشكل الجدران المتينة الملتقية في القمة، حاملة المؤشر الذي يشير إلى كل المواقع، ضامناً كل الشرائح، مبيناً الخلل والفراغات والنجاح والفشل، ومعادلاً مهمّاً بين كل القوى والسلطات الفاعلة، ضمن هذا الهرم ومحركاً للفعل محوّلاً إياه إلى أفعال، ومضيفاً لكل جهد جهداً فيظهر الهرم من قاعدته إلى قمته على أنه دولة ذات مؤسسات، ونظم وفعاليات مرتبطة ومترابطة في وحدة ملحمية لا انفصال لها، وتكون مصلحة الفرد فيها هي مصلحة الدولة، ومصلحة الدولة هي مصلحة الفرد، ضمن حماية الفرد فيها للدولة وحماية الدولة للفرد .

الدولة وجود صادق في المظهر والجوهر، بدليل أنها تبحث في تدعيم بنيانها وقوتها في قوتها، وتتعامل مع الصدق وبصدق، وعند الاضطرار مع الأقل كذباً في بحثها عن التعامل معهم.

أما الكيان فهو اصطناع ممنهج يحمل غاية خدمة الفرد وتابعيه، ليخدم أمراً يأتيه من الآخر أو لتعزيز سلطته

أمام مجموعته التي تنتمي إليه، معززاً الفرقة ومرسخاً لها لمصلحة مجموعته، أو تعزيز فكر الآخر وخدمته، فدوره خدمي أولاً ووصي ثانياً فيحافظ على دوره كي يحافظ عليه الآمر له .

كما أن الكيان مجموعة أفراد تنضوي تحت أفراد، أي بمعنى أنه يتشكل من مجموعات ذات مصالح قد تختار رأساً لها يكون مركزاً لدائرة لا يمكن أن تصبح هرماً، بكونها مجموعة كيانات وطوائف وأحزاب وجمل فكرية ناقصة، تظهر نفسها أنها مجتمعة، وفي حقيقة الأمر هي قمة الاختلاف، كما أن صورتها فردية مطلقة، ولا حياة لمن يخرج عن إرادة كل زمرة أو مجموعة فمثلاً : الكيان العنصري عبارة عن زمرة تخدم عصابة، فتستخدم الكثرة من أجل القلة، كما أن الكيان الصهيوني الذي يخدم الفكرة المتشددة فيتحول أيضاً إلى عنصري أيضاً، من أجل خدمة زمرة، وكل مجموعة تختلف فيما بينها، من أجل مصالح شخصية وفردية وعنصرية، وتجلس على طاولة دائرية لا رأس لها، هي كيان ولا يمكن أن نطلق عليها دولة ولا يحق لها أن تكون دولة، لكون الكذب شعاراً لها وتعاملها يكون من مبدأ القناعة التي تتمتع بها بأنها كذبة تحاول وتعمل من أجل أن يصدّقها الآخرون، رافعةً شعار الضعف وأن قوتها في ضعفها واستجداء العون من الآخر كما يفعل الكيان الصهيوني وتفعل الكيانات الأخرى

ما أكثر الكيانات في مجتمعاتنا العربية والدولية، وما أقلَّ الدول، فالكل يسمي نفسه دولة، وإذا ما دققنا في آلياته نجده كياناً، فلنحلّل وندرس ونتعمق فهل نستطيع أن نطلق على الصهيونية أنها دولة وعلى نظم الفصل العنصري الأبارتيد دولة .

الدولة هي تجانس ونسيج ملحمي يربط الأرض بالإنسان، ويوحّد الإنسان بأخيه الإنسان المنتمي إلى جغرافيته وسياجه، والمؤمن بأنه يعيش تحت هرم يؤمن به، وهو جزء منه ولبنة من لبناته، يذود عنه بكل ما أوتي من قوة مترفّعاً عن صغائر الأمور، كبيراً بكرامة هرمه وعزته وكبريائه .

الدولة هي نظام قانوني يتألف من مفهوم نظري تعمل تحت ظله مؤسسات تشريعية وتنفيذية ولغة قانونية تقاد من ربان يكون رأسها، يرتفع منها ليرفعها، إنها المجموعة المتجانسة المترفعة عن كل ما هو مسيء لسمعتها، وتخضع لسلطة مبرمجة تدير فيها الجغرافية والشعب وتحافظ على السيادة والاستقلال .

آمل ويأمل كل عربي ألا تكون بيننا كيانات وأن نجلس إلى طاولة مستطيلة لها رأس ينضوي تحته العرب يتحدث باسمهم، ويحدث التكامل بكل أشكاله: اقتصادي اجتماعي سياسي وعسكري، فنستطيع مجابهة الكيان والكيانات المنتشرة الجالسة على طاولة مستديرة لا رأس لها .

الخلاص

لا يكون إلا بالإخلاص فأين نحن منه ولماذا لا نسعى إليه وهل تعلمنا كيف نخلص من التراكمات السالبة التي تكونت في العقل والقلب فأخرتنا وأبعدتنا عن الطريق الصاعدة كي نكون في الارتقاء حاضرين وأمام أهل العلم والبلاغة والنتاج والإنتاج متواجدين ، وبيننا وبين أنفسنا متوحدين كيف نخلص من طغيان النفس وما هي آلية التحكم بها، فإذا أردنا إيجاد راحة للعقل والروح يجب ان نتملك فهماً للإخلاص ونتعوده كي نخلص ونخرج من ظلمة الأشياء وسيطرة المادة الداكنة والتي تشكل الجهل فتدفع بنا لارتكاب كل الأفعال السلبية التي تؤدي في النهاية إلى التوّهان والضياع والاتجاه إلى العالم السفلي .

الخلاص هو تخليص العقل والقلب اللذين يشكلان العالم العلوي من سطوة الشهوة والجنس اللتين تدعوان لتملك المادة والسيطرة بها وعليها ليتشكل منها العالم السفلي، وبشكل أدق الخلاص يعني التخلص من عقدة الشعور بالذنب أمام أي فعل جوهره الخطيئة ويشعرك بأنك ارتكبته وتريد التخلص من جوهره القابع في جوهرك، كما أن الخلاص يعني أنك يجب أن تتعلم كيف تخدم العقل والقلب فهو الضوء الذي يظهر

لك الصح والخطأ ويدفع بك لإصلاح الخطأ وتعزيز الصح ويخلق بداخلك شعور الراحة فتتألق الروح لتريح النفس المتعبة التي تدفع بك دائماً نحو الجهالة بكونها تأمرك بالسوء فتتعبك وتأخذ بك في أغلب الأحيان إلى حيث لا ترغب ، وما حواري هذا وبحثي فيه إلا ليقيني بأننا كلنا نبحث عنه فمن منا لا يريد الخلاص والاستقامة والعودة إلى إنسانيته أليس لدينا جميعنا انحرافات وأخطاء قابعة في عقولنا وقلوبنا وأعماقنا لا يعلم بها أحد غيرنا ، كم ترهقنا وكم نأمل ونحلم بالخلاص منها ، إننا ونحن نبحث عنه ينبغي علينا أن لا نكون خاليين ولا ورائيين بل واقعيين وحقيقيين ومتصالحين أولاً وأخيراً مع ذاتنا كي نستطيع أن نتصالح فيما بيننا ونخلص .

انه الخلاص بمرتكزاته التي يستند إليها ويقوم عليها وهي الحب والرأفة والرحمة والتعاون وقبول النصيحة وإنجاز العمل بشكل يرضى عنه الآخر وإنهاؤه على التمام فيتولد الشعور الخّلاق بكل معانيه، ومنه إن قرار الخلاص يتجه بك إلى الإخلاص الذي يمنحك رؤية حقيقة الشيء وواجبات أن يكون هذا الشيء بكل أشكاله في حالة إنهاء جيدة، وطموحك فيه أن يكون أجود فتخلص أن تكون فهم وحدة الظاهر مع الباطن والأعلى مع الأسفل وفهمك للكلي بكونك نسبي وفهم ما تريد أن تنجز واتحادك معه يمنحك الخلاص اللائق الذي تبحث وأبحث ويبحث الجميع عنه

وتحمل صفة الإخلاص .
أما الإخلاص فهو غاية طالب الخلاص ويتم بالابتعاد عن كل ما يشوه الصورة وكل ما يضيف جمالاً لجمالها وهذا يعني أن هناك مقومات تدعوك لفهم الصورة أولاً ومن ثم انجاز ما تريد إنجازه ضمن شروطها التي تفرضها عليك ومنها أن تملك صفاء النية والعلم التخصصي لمتطلباته وإمكانية توفير أدواتها وحسن التعاون معها وإرادتك أولاً وأخيراً في انجازها وبالرغم من وجود صعوبات أحياناً ومفاجآت في مسيرة الإنجاز إلا أنك ومن خلال طلبك للخلاص يكون بإصرارك على الإخلاص وتوفر غيرتك في المنافسة المبتعدة عن الحسد بغاية تحسين واقعك ومساهمتك في تحسين الواقع بشكل ما وقناعتك بأن تعطي بلا منٍّ وعدم حاجتك لثناء عليك وإليك بل الثناء على عملك وجودته ومحبة الناس التي تبدأ وتتكون لك من ما تفعل ولفعلك تمزج وتوحد عملك بك ليتوفر الحب ويظهر الخلاص بأنك أخلصت لما تحب وتعمل فخلصت .
إن رأس الخلاص والإخلاص هو الصبر والدقة أثناء التعامل مع أي أمر والتأكيد على امتلاك العلم فالصبر بلا علم لا يؤدي إلا إلى الخلاص ومن يبتعد عن الإخلاص وعدم امتلاك الاختصاص يعني عدم امتلاك الدقة الذي يؤدي إلى عدم فهم الخلاص والإخلاص الذي يوفر للإنسان الرغبة في رفع قيمته التي تسهم في رفع قيمة أسرته ومجتمعه وأمته،

ويؤثر مباشرة في زيادة الحب وعلاقته بالمحبوب، كما أنه صورة تربوية للروح والخلق والعقل ومدخل إلى الاجتماع والسياسة والاقتصاد والجمال ورغبة للحفاظ على الحياة ومكوناتها ودلالة على الإيمان بالشيء أي شيء ومظهر وجاه وعز وصورة للتقدم والتطور والارتقاء ، لنخلص لمبادئ العدالة كي نخلص من العداوة لنخلص في أعمالنا ولنعمل على تقديمها بجودة كي تخلصنا من الضغينة والرفض لنخلص لتربتنا وجغرافيتنا وأمتنا ولما نؤمن به بحب فيكون الخلاص.

الصندوق الأسود

في حياة كل فرد منا ذكراً أم أنثى جوانب مظلمة تعيش داخل العقل والقلب، لا يستطيع أي كائن آخر أن يطلع عليها، أو يقرأ مدوناتها إلا في حالة واحدة، وهي أن يضيء، أو يتحدث المرء، حاملها عنها، أو يوجه إليها الضوء ليرى ما بداخله، هذه الجوانب تشبه الصندوق الأسود الموجود في الطائرات، والمركبات الخاصة، والمراكب السريعة، والسفن التجارية، والسياحية، والعسكرية، وللعلم إن اسم الصندوق الأسود ينطبق على المعلومات التي بداخله، حيث إن لونه أحمر، ومهمته أن يسجل الأحداث المهمة، واللحظات الأخيرة عند كل مهمة، أو رحلة، والشبه الوحيد بينه وبين

الإنسان، تسجيله للقضايا السيئة، مثل الأعطال الطارئة، والحوارات السالبة، وما يجري عند أي هبوط، أو توقف اضطراري، أو حدوث الانفجار النهائي، والتحطم الكلي، فهو لتسجيل كل السواد الذي لا يأمل حدوثه أي إنسان على عكس الصندوق الأبيض، أو الزجاجي، شفاف مرئي، بإمكانك الدخول، والخروج منه، والاطلاع على محتوياته، مثل الإنسان الشفاف المتصالح مع ذاته، والمتوحد معها.

لقد تم تصنيع الصندوق الأسود بشكل دقيق جداً، ومن سبائك معدنية خاصة تستطيع تحمل الارتطامات القوية، والتحطم، والانفجارات، بحيث يتحطم ويحترق كل شيء، ليبقى حاملاً كل الذكريات، وكل المدونات إنه مثل صندوق الإنسان الخاص، والفرق بينهما أن الأول تستطيع أن تقرأه، والثاني تأخذه معك إلى العالم الآخر

لا يدري عنه أحد سواك، والسؤال الذي يطرح نفسه، ونحن نجري هذه المقاربة ما بين الصندوق الأسود المادي، والصندوق الأسود الإنساني بشقيه المادي والروحي، وغايتنا الصندوق الإنساني، وما حمله عبر سني عمره، فهل هو الذاكرة السوداء؟ بكون أن كل إنسان لديه ذاكرتان، واحدة بيضاء، يحبها ويعمل عليها طيلة عمره، وبها ذاكرة سوداء هي الأحداث المفاجئة، والارتكابات الخاطئة الخاصة به وبالآخرين، والتي تسجل بين حنايا الذاكرة البيضاء، فتؤرقه بين الفينة والأخرى، فما مر في مرحلة الطفولة ينسى، إلا

الأفعال القوية تسجل، ومرحلة المراهقة والبلوغ وطيشها وعبثيتها بكل تنوعاتها التي تحمل الشقاوة، والرصانة، والجنس، والعادات السيئة، والإيجابية، والاندفاعات في البحث عن الحب والعمل والتكوين والبناء، كل ذلك يسجل ليكون ذاكرة فيها الجميل وفيها السلبي ، عند سني الإدراك والعقل والرجولة، ومنهم من يحملها إلى الشيخوخة، أما أحداث الوعي والعقل، فهي أخطر ذاكرة تدخل صندوقنا الأسود، نخفيها إن كانت سلبية، ولا يمكن أن نفصح عنها، ندخلها قسراً في مسيرة حياتنا، ولا نستطيع التخلص منها، فهي التي تعمل على توترنا، لكون صورتها سوداء، ومهما حاولنا تناسيها لا تنسى، وحلها الوحيد حسب حجمها الاعتراف أو إصلاحها، حيثما فعلت أو ارتكبت إن كانت بحق إنسان ذكراً كان أم أنثى، أو بحق مجتمع أو بحق مادة أو حيوان أو نبات.

على الرغم من أننا نعلم أن الإنسان عند انتقاله، لا يأخذ معه سوى عمله المتخفي بين أضلاعه، بكون العلني منه يعلمه الناس أجمع سلباً أم إيجاباً ويتحدثون به ، عنه مديحاً أو ذماً، إلا أن الصندوق الأسود الحقيقي يبقى معه، تحمله روحه وتجول فيه، وللأسف لم يعد من ذلك العالم أي أحد، يحدثنا عن صندوقه.

إن فلسفة التكوين الفكري أوجدت علومها بغاية تخليص الإنسان من صندوقه الأسود، وهي تعمل على ترتيب العلوم

الإنسانية، هدفها صناعة فكر الإنسان، والابتعاد به عن الخطيئة والخطأ قدر الإمكان، وأيضاً إن تجاوب معها الإنسان وفهمها، صالحته مع ذاته، فزادت خيره، وأنقصت من شره، معنى هذا أنها تعمل على تخليصه من هذا الصندوق الموجود فيه قصراً، فهي تريد إفراغه وعدم تدوين أي شائبة، أو خطأ قصدي أم الأفعال العفوية ذات الأخطاء الطبيعية التي تمر في حياة الإنسان، فهذه لابد من حدوثها بكون الإنسان يسعى إلى الكمال، وفي رحلة سعيه، يتعسر، ويرتبك، ولن يصل، فسعيه هو الذي يأخذ به إلى الخطيئة، وارتكابها سالباً فالإيجابي إلى الصندوق الأبيض، وهو صندوق الحياة المستمرة حتى بعد الانتقال، والسلبي إلى الصندوق الأحمر الذي توضع به الأعمال السوداء، والذي نسعى جميعاً للتخلص منها.

ماهية الوطن

المواطن - المواطنة - الوطن - الوطنية كلمات مشتقة من بعضها، أسسها إنسان جبل منها واكتمل، ليعيد صياغتها ويرسم وجوده ضمن وطن هو الأساس فيه، يُكّوِن الأسس التي تحافظ عليه مادة وروحاً ضمن انسجام لا متناهي الدقة، يرسم لوناً وشخصية وحضوراً، وبما أنها جزء مهم وفاعل وأساسي في فلسفة التكوين الفكري، ندخل، نحلل،

ونفصل، ونبين الأليات الكامنة في مضمون ومفهوم كلماتها الحاملة للمؤشرات والمدلولات والمقاييس، فنجدها تحولت إلى مفاهيم ثابتة في جذورها لا تتغير، متلونة في ظهورها بحكم تغير مناخاتها الظاهرة، فهي في الجوهر صفة من الصفات الإنسانية، وفي المظهر لغة العيش، والبحث فيه والتنقلات الاختيارية والقسرية التي يمر بها الإنسان عبر مسيرة حياته.

فكلمات مواطن، ومواطنة، ووطن تتوحد وتقف عند كلمة الهوية التي تشير إلى الجنسية التي تمنحك الامتياز والتمايز بين الجغرافيات، وتظهر فلسفة وجودك، وضرورة وضع هذه الكلمات في أطر محددة وثابتة بغاية إظهار الانتماء، وتعزيزه، وتقويته تؤدي إلى رسم حدود الاستقلال، ووجوب الدفاع عنه في مرحلة فهم الحرية، وتطورها في ذهنية المواطن المتوطن في وطن، لتنشأ لديه الوطنية التي تغدو ذهنيته المشعة للحب، والإخلاص، والانتماء للأرض والناس، والعادات، والتقاليد، والافتخار بالتاريخ، كل ذلك يتجيش في الذات والعقل الإنساني، ليؤدي لظهور خدمة الوطن والدفاع عنه.

لذلك هي ليست مجرد مفردات مخزونة ضمن معاجم وقواميس تقرؤها الألسن والأعين، وتنطق بها الشفاه، بل أكثر من ذلك، إنها مضامين وأفكار تعيش في العقول، والقلوب الإنسانية، تنفعل وتتفاعل عبر صور مختلفة، لتظهر ضمن

مجموعة الغرائز الكامنة والمتحفزة للاستفزاز عند الاستشعار بالخطر، أو الدعوات التعبيرية عن الحب والغيرية، فهي سلوك بشري فطري وعفوي، يتطور بوسائل العلم والمعرفة من خلال زيادة التدفق المعلوماتي من المحيطات الجغرافية، وتطور الشخصيات المنتمية في المجتمعات المثيلة التي تتوارد رسائلها عبر الكثير من القنوات التي حولت المفاهيم إلى قيم فكرية، امتلكت الأصالة لتصبح جزءاً من منظومة الإنسان اللامادية والمادية في تجانس نوعي، ربط الجذور بالظهور، والنمو، وزيادة النمو، ورسم شجرة الأصول بالفروع، فأينما حل وارتحل حمل جذره الدال على فرعه، ومهما ابتعد تبقى عينه على أساسه الحي في قلبه وعقله.

إن الغاية من التأكيد على هذه المفاهيم هي العودة بها إلى أصالتها، والحفاظ على مضامينها الحقيقية بعيداً عن الخبث الذي يجري بثه في الحياة الاجتماعية العالمية وخلط الأفكار والقيم ودمجها، فتارة نراها تحمل الأممية، وتارة العنصرية، وتارة الفئوية، لذلك وبين الفينة والأخرى نعود إليها، بل يجب مراجعتها، وتعزيزها للالتزام بواجباتها الدقيقة، والمحددة لثوابت لا ينبغي الحياد عنها، فالجذور والأصول والجغرافية والتاريخ واللون وثقافة الشخصية ومتطلباتها الواسعة تعطي الفكر حركة ورؤية لمدى الأفق الذي يحيط بنا، فيجعلنا أكثر التزاماً أخلاقياً بمكوناتنا التي نحب وننتمي أكثر لما نحب ونعمل له كي نعيد لهذه الكلمات التي أنجزت الفهم وكونت المفاهيم لغة

الفخر والاعتزاز والانتماء والخصوصية البناءة المحترمة التي تحترم خصوصيات الآخرين وتشاركهم في إنسانياتهم، فالحوار الذي هو أساس بحثنا المواطن والمواطنة والوطن يدعونا لتعزيز فهمه وتملّكه بقوة مضمونه من خلال فهم دقة المعاني التي تحقق لنا الأماني وتظهرها إنسانيتنا في اللحظات الحرجة والعصيبة. اننا متجانسون، فاهمون لما نحن عليه، ومن أين نحن أتينا؟ ولمن نحن نكون ضمن برمجة الحقوق والواجبات التي نتبادلها أثناء تقديمنا لها، وتقديمها لنا، كما تظهرنا كأفراد متملكين للوعي الجامع المتجلي في وطن يلمع به مواطنوه من خلال مواطنتهم ووطنيتهم.

نعم من هنا أدخل على المفهوم الأول، وهو المواطن، أحمل معكم ماهيته، شارحين لمواطنته التي يتجسد منها، وبها وطن يعيش كل مواطنيه تحت رايته، وفوق ترابه يسيجونه بالفعل المرتبط بالمحبة له.

المواطن: هو منشئ الوطن وأساسه وظاهره وجوهره، إنه الفرد الكبير الذي اشتق منه الوطن، حيث إنه هو الذي استوطن بعد أن نبت فيه، واتخذه منزلاً، وإقامة، وولد، وتوالد فيه، ومن أخلص له بكونه يعيش فيه، ومن ثم تطور تعريف المواطن ليكون العضو المؤسس في دولة ينتمي إليها، ويعمل لها ويتمتع بحقوق حمايتها، فتمنحه هوية تعرف عنه وتكون جنسيته.

بديهي أن نؤكد أن المواطن هو أساس أي وطن، ومنذ بدء البشرية تمترس البشر خلف جدرانهم التي بنوها، وتشبثوا

بالأرض التي نبتوا منها،وإلى اليوم نرى المواطن الصيني والياباني والعربي والإفريقي كما نرى الهندي والأوروبي، وأينما ارتحل أي منهم يحمل جذوره المتجسدة بثقافته وشخصيته التي تنبع من موطنه الأول، ومهما انخرط في المجتمعات الأخرى، يبقى لونه لون منبته، وحركته، وطعامه، ولفظه، وحنينه، وذكرياته، ومهما بلغ من عمر وتوالد تبقى ذكراها الأولى، ذكرى أنه مواطن سوري، أو مصري أو روسي أو ياباني، ونرى معه مواطنته، ووطنه في أصوله، وجذوره، وهذا دليل على أنها ماؤه، وهواؤه، وترابه، والتي شكلت أساسه، وحضنت حبه، ضمن جسده، فأصبح من ما أمسى عليه حاملاً، للأشواق لا تفارقه، أينما أرتحل به الحنين والهيام لها وعليها، فهي موطنه الذي منحه لقب مواطن ويعزز فيه مواطنته التي بالانسياب الطبيعي والتطور التاريخي تكون وطنيته بحكم الماديات التي امتلكها.

فالمواطنة شعور حقيقي بالانتماء لبقعة تحميه وترعاه، وتأمن له الأمن والأمان، وينال بها حقوقه ويؤدي بها واجباته، وعلى الرغم من أنها أي المواطنة، أصبحت تحمل تعابير مطاطة، وأخذ الكثير يجتهد فيها، ويقول الأكثر إن هناك مواطنة حرة، ومواطنة قسرية ومواطنة بالتوطين، وإذا عدنا إلى الماضي القريب، وبحثنا في تعريف المواطنة وصبغتها كمصطلح معاصر نجد أنها تبتعد عن أصلها الروحي ليتحول إلى أصل مادي فنراه يقول: (علاقة بين فرد ودولة يحددها القانون الناظم للعلاقة في نظام الدولة)، وتتضمن العلاقة واجبات وحقوق متبادلة

وتتضمن هذه المواطنة مرتبة من الحريات مع ما يصاحبها من مسؤوليات بينما نقول نحن: إن المواطنة هي رابطة عضوية بين مواطن ووطن، إن المواطنة من وطن وهي صفة للإنسان المتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن، كما أنها المكانة الفعالة التي تولد علاقة اجتماعية، تقوم بين فرد طبيعي، ومجتمع مؤطر فيه نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي، ومن خلال هذه العلاقة يعطي الفرد الولاء وينفذ الواجبات، ويقدم الطرف الآخر الحماية ضمن أنظمة وقوانين تحكم وتنظم هذه العلاقة، إن التأكيد على أن المواطنة علاقة جذر ونبت وفروع هو ضرورة أمام ما يشاع الآن حول المواطنة الحرة والعودة إلى المشاعية التي تخيف الضعفاء وتظهر المتسلطين على أنهم أقوياء وأن الانتباه لذلك هو غاية يجب أن تكون في جدول أولويات أي تكوين، له الإرادة في الحفاظ على جذوره ونبته وترابه ومائه وسمائه.

هذه الجذور بفروعها المتكاثرة ترسم وطناً يطلب من مواطنيه بمواطنتهم الدفاع عنه، وحمايته، وتعزيز وجوده، هذا الوطن الذي أساسه مواطن، وإدراكه بمواطنته يقودنا إلى رسم وطن وتعريفه وتحليله وجدليته، الإنسان أينما كان لا يكون وطناً، بل هو وطن غير مكتمل، وأيضاً الجدلية الثانية، الأرض التي لا تعرف إلا بالإنسان، إذاً الوطن، الأرض، والإنسان، بلغته وعقيدته، وهو اللسان الذي يشير إليه وينطق باسمه، إنه المعاناة والحرمان أثناء مرحلة التوحد والبناء والتثبيت والثبات، الوطن احتواء

عمري حي في الجسد ليعود فيحتوى بعد الانتقال إلى التراب
إنه المنزل الذي يأويك وتجد فيه أمنك الشخصي، وأمانك العام وتتزوج فيه، وتنشئ أسرة، إنه لونك، ولغتك، وعادات أهلك، وأجدادك، وثقافتك والتقاليد الإيجابية، إنه انجازك وعملك ومكتسباتك ومدخراتك وأصولك النقدية والعينية تغادره بأمان وتعود إليه لتجده كما كان آمناً، يوفر لك الأمان الوطن لك الحرية لتتجول فيه وتختار ما تريد بعد أن تجتهد له وأن تعبر عن ما تريد فهو يسعى لبنائك كي تبنيه ويريدك صورته انعكاساً له، فهو هويتك وجنسيتك، وأمنك وأمانك، إنه جذرك وأنت جذعه، ومنك فروعه تحميه بانتمائك ودفاعك فهو محبك وبه إلفتك يشدك إليه مهما ابتعدت واغتربت، فيه عزك، وشموخك، وإباؤك فيه وله شوقك وأشواقك، إنه المبدأ والعدم، وإليه تنتهي الآمال، وبه يتخلص الحب، كل الحب، مهما تنقلت وابتعدت بفؤادك عنه لن تشعر بالدفء والراحة إلا حين تعود، إليه فهو حنينك، وضميرك، لقد عرّف ابن منظور في لسان العرب (الوطن) : إنه المنزل تقيم فيه، كما أنه موطن الإنسان ومحله وجمعه أوطان وفي الاصطلاح عرّف الجرجاني الوطن وقال : الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه وفي المعاجم والموسوعات الفلسفية منها السياسية نجد أن الوطن بالمعنى العام: منزل الإقامة والوطن الأصلي هو المكان الذي نشأ فيه أو ولد عليه، كما نجد أنه البلد الذي تسكنه أمه يشعر المرء بارتباطه بها، وانتهائه إليها وأنا أقول: إن الوطن

هو التراب الذي نبت منه وبه انضوى آبائي وأجدادي الذين أنجزوا لغتي وثقافتي وأوابدي التي هي حضارتي وتحضري وهذا التراب منزلي، وأهلي، ومجتمعي، وهذا التراب له سماء وبه ماء وله حدود قيمتها مساحة مقدره من الأرض، له صورة، وعلم، ويمنحني الهوية والجنسية، ويكون اسمي من اسمه.

إنه الوطن كلمة ينبغي فهمها وتعزيزها فهي ليست طوباوية ولا ديماغوجية فهو كائن حي، تراب وماء، وهواء وفوقه سماء، إذا كنت منه تلمسه، فتجده فيك ليجدك فيه، إنه شكلك، تاريخك، قصتك، قل لي من أنت؟ أقل لك من أي وطن أنت، هذا يدعوك بعد أن عرفته وعرفك، وكنت المواطن والوطن، وأنجزت المواطنة، فما هي وطنيتك تجاه كل ذلك؟.

ودخولنا على الوطنية لنعرفها، ونوجد حواراً معرفياً حولها، يدعونا للاطلاع على اختلافات المناهج الفكرية، التي قد نتفق، وقد نختلف حولها، ونقول إنها ليست عقيدة، ولا هي تعابير عاطفية، أو وجدانية تنحصر فيها بفردية، بل هي مجموعة الشعور، تسكن القلب بكونه مركز العواطف والعقل، بكونه مركزاً للعلم، أي بمعنى أدق هي حقيقة التحام والتآم الشعور بالعلم، فتظهر منه الطهر، أي التقديس الذي يتجمع الحب فيه للوطن منه، ولمن يحبه، والبغض ضد كل من يعاديه، والدفاع عنه، وتبني الوطنية التي تسمو وتكون قبل كل شيء وفوق كل شيء.

ومن هذا ترسم العاطفة تعبير الإنسان لوطنه، ومنبته، وتظهر

انتماءه له، بكونه يحمل جنسيته، وولاءه، وتدفع به لأداء واجباته تجاهه، وتدعوه للقيام بكامل الحقوق المشروعة من أجل حمايته، فتكون بذلك الوطنية تعبيراً عن حب الشخص لوطنه الذي نسميه أحياناً الإخلاص.

لقد قال الأصمعي (سمعت أعرابياً يقول : إذا أردت أن تعرف وطنية رجل، فانظر كيف يحن إلى وطنه، ويتحنن إليه، وراقب تشوقه إلى أهله، ومجتمعه، وأطيافه، وابحث في حديثه عن ذكرياته فيه، وبكائه على ما مضى من زمان) لقد عرفت الموسوعة العربية العالمية الوطنية على أنها تعبير قويم، يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه، الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس، والعادات، والتقاليد، والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن، وعرفه معجم أكسفورد أن الشخص الوطني هو الذي يحب وطنه وعلى استعداد أن يدافع عنه، ولذلك فإن الوطنية هي الإحساس والشعور بالوطن، وامتلاك الصفات، وتحفيزها من حب ورغبه في الذود عنه.

لنؤكد أن الوطنية أعلى من درجة المواطنة بالرغم من وجود شروط قانونية قد تمنحك المواطنة في أي موطن شريطة الالتزام بها أما أن تكون وطنياً، فهذا يعني أن تتملك فهماً لمبادئ الارتباط بالوطن العامة منها والخاصة، وأن تستوعب سلوكياتها، وأسسها وأن تكون شخصياً، شخصية وطنية تدل عن وطنك فيكبر بك وتكبر به.

الوطنية حالة حب فطرية، تتوالد نتاج توالد الإنسان من

أرضه، فتنعكس حباً للأرض والإنسان، وتحمله مهام فيها القيم الأخلاقية تجاهه، والخير والجمال والارتباط بالجذور،،،، كما تدعوه دائماً لحمل لغة وفعل التعاطف والتكافل، ومن هذه المهام، وبها تتأكد الوطنية، وتتجلى في صورة اتحاد بين المواطن والوطن، وتكون مواطنته وطنية بامتياز.

إن الارتباط الإنساني بالوطن ومواطنته بكونه مواطناً مسألة تحوله إلى البحث فيها، وفي أصالتها، وتأصلها في الذات الإنسانية فالوطن ولادة ووليد ومستقر واستقرار في مسيرة الحياة الطويلة ومنزل تمارس فيه كل المسموح الجيد والايجابي والمفيد والحماية والأمن والأمان، إنه أمن مالك، وولدك، وعرضك، وفيه عزتك، وشرفك، وكرامته من كرامتك، وشرفه من شرفك، وبه تعرف ويعرف بك، إن وطنيتك ذات بعد معنوي ونفسي نظري وعملي ،أمامه وأمامك، وأمام مجتمعك، وأي مجتمع، وأبعاده أبعادك، التي تقودك توحيدها في بعد تستقي منه في اللاشعور الحساسية الدائمة المحمولة بين جنباتك في فؤادك، وعقلك، تنتفض، وتنزعج في اللاشعور، وفي الشعور أمام من يحاول أن ينتقص منه، وتفرح ممن يضيف إليه إيجاباً، هذا البعد الذي تذوب كل المعتقدات لتعلو الوطنية، وتنحي جانباً كل شي، فهي الغيرية في لحظات المقارنة، والمقاربة، والحمية، واللهفة عند الشدة، والانتباه الدائم عند الراحة الوطنية، مواطن بمواطنته وطن.

الفهرس العام

(محتويات الكتاب)

الموضوع	الصفحة